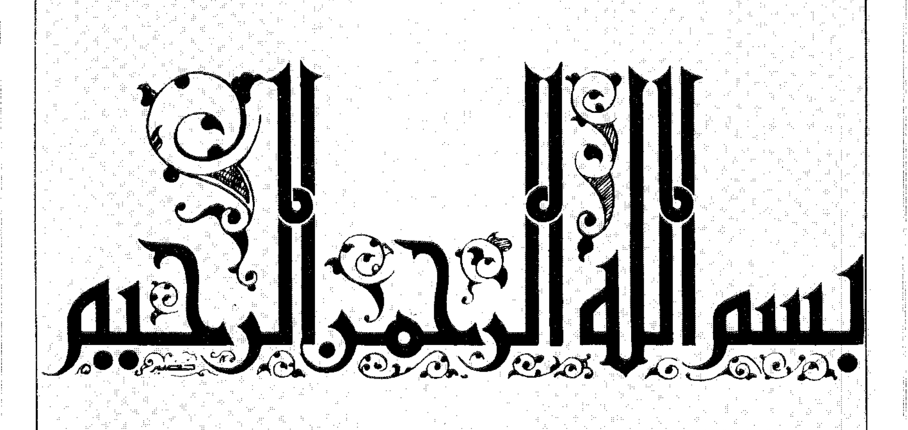


الأندلس ..
ورمال التاريخ

محمد موسم المفرجي

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ

مطابع الصفا بمكة ت : ٥٥٦٢٨١٠


بسم الله الرحمن الرحيم

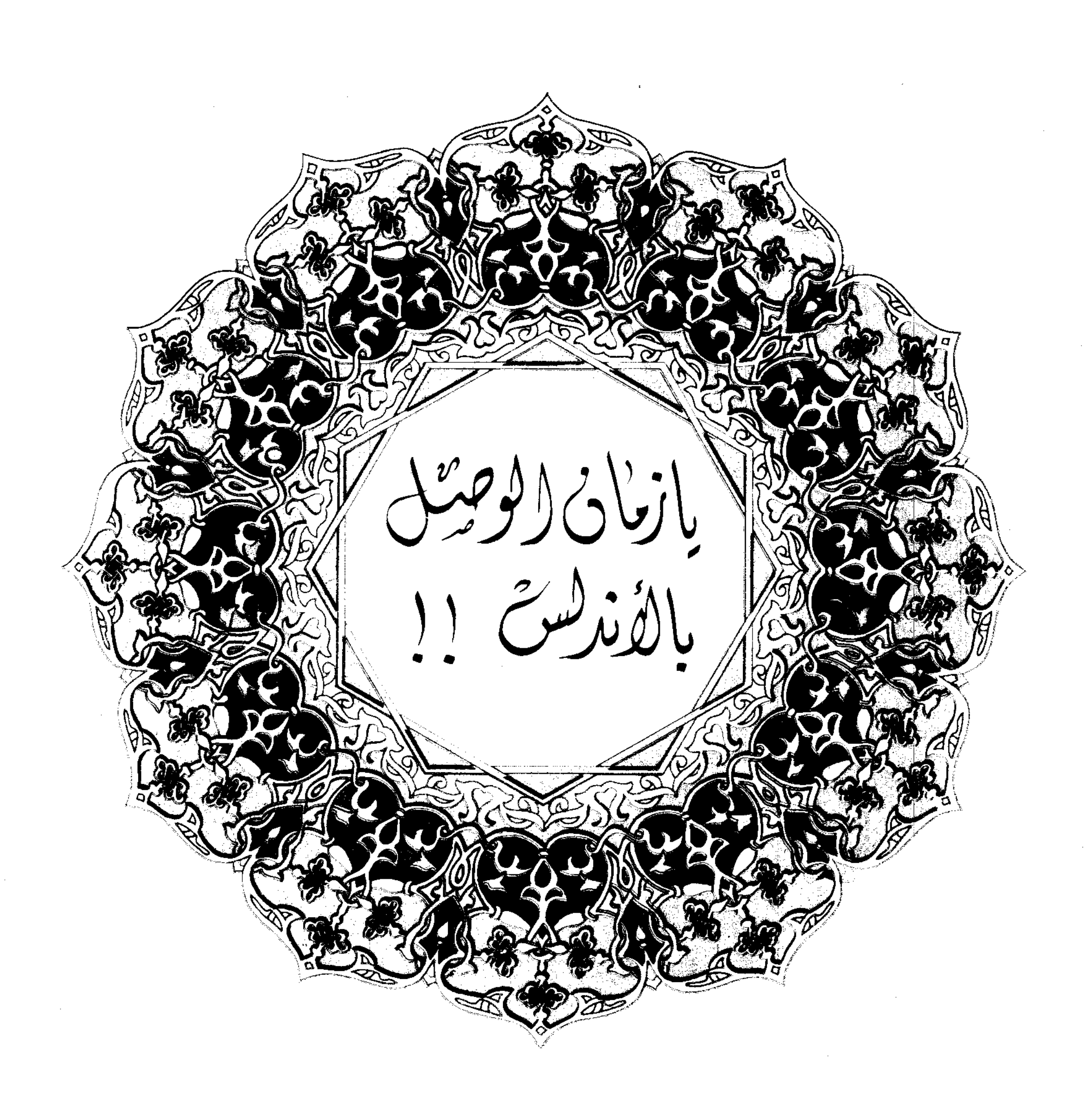


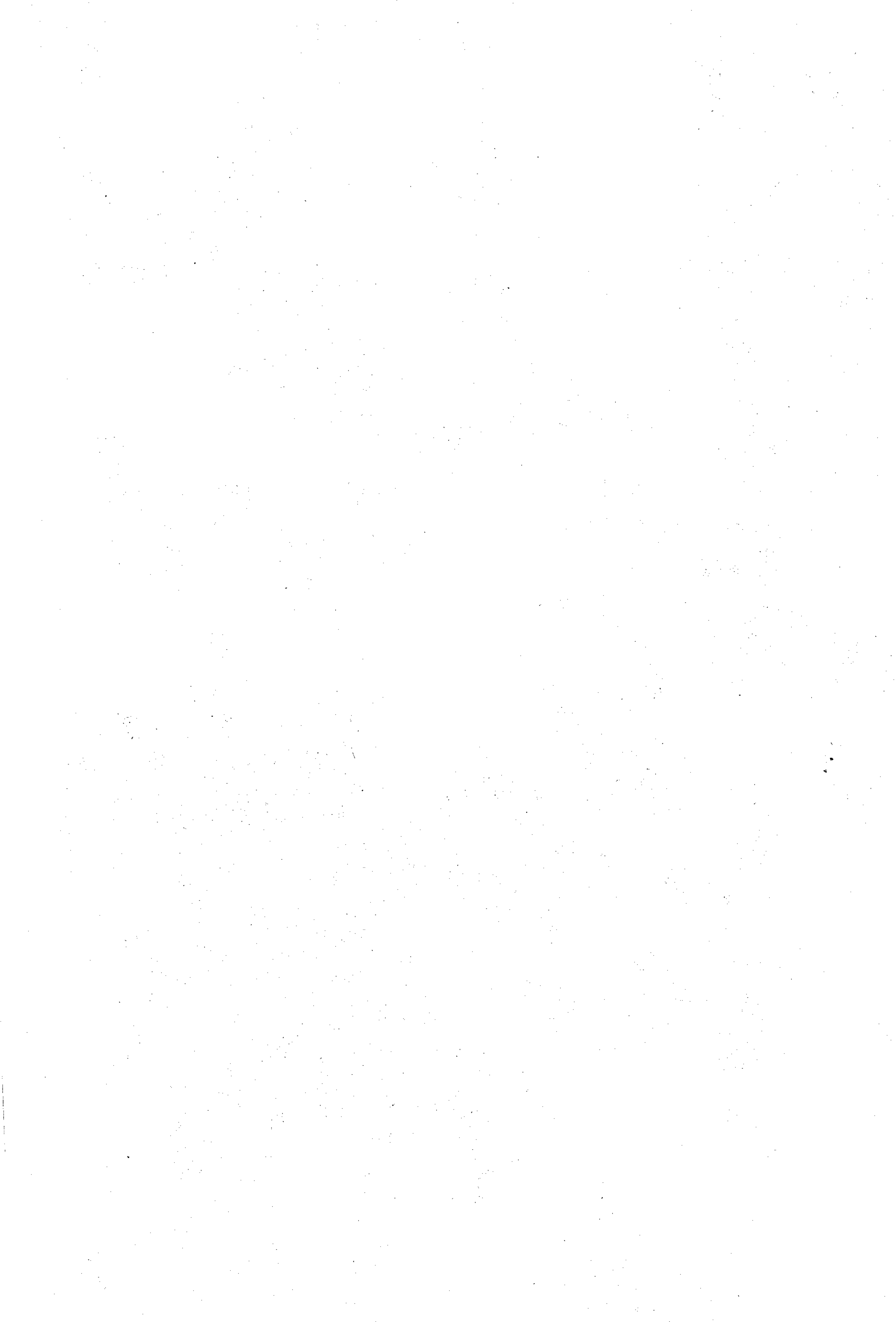
إهداء ..

إلى أبى الذى رحل " شاباً "
قبل أن تتحقق أحلامه .. فى أبنائه
.. والذى تعلمت من حكمته .. أكثر مما
تعلمت من أقوال الآخرين .. !!
ومن دأبه .. وحبه للعمل .. ما أورث فى
نفسى حب العمل .. والعطاء دون أن
أنتظر .. مردود .. ذلك ..
أهدى هذا الكتاب .!

المؤلف




يا زمان الوصل
بالأندلس !!



المقدمة

* كانت زيارة الأندلس هاجسي منذ زمن بعيد وكانت الرغبة في النفس ملحة .. لكني كنت أريدها زيارة متأنية . لما تشتمل عليه من الآثار التاريخية والأدبية والعمرانية . التى تمثل المرحلة الهامة في حياة تلك الديار ابان الفتح الإسلامي على يد طارق بن زياد وهو يحرق السفن ويصيح في جنوده « البحر من خلفكم والعدو أمامكم » !!

وعلى مدى ثمانية قرون تقريباً . حيث تجسدت الحضارة العربية في أسبانيا . وأثر تلك الحضارة . والثقافة فيها .!! لقد كانت هذه الزيارة مادة دسمة ..

والتاريخ بشذاه وعبقه الذي يفوح وسطوره . وصفحاته المشرقة ترافقنا . وتحف بنا . وتعطر أنفاسنا . وتنير السبل أمامنا . ففي أعماق البحر تاريخ .. وعلى القمم والسفوح تاريخ .. وفي السهول والأودية .. تاريخ .. ! وتاريخ مجيد .! .

ولن أتعمق في استقراء كافة محتويات ذلك التاريخ لأنه يوصلنا إلى نهاية . واعماق لا نريد الخوض فيها لا جُبْناً ولا هربا من الحقائق التاريخية ولكن لأن ذلك لا يجدي شيئا . ولا يعيد إلينا ما فقدناه .؟!

ولكنني سأتحدث حديثا عابرا وحديث « عابر سبيل » من خلال إطالتيَ من تلك النافذة « نافذة التاريخ » مع ما تختزنه الذاكرة من معلومات متواضعة هي محصلة قراءات سابقة . عفى على بعضها الدهر .. لكنها وجدت في هذه الجولة ما نفض عنها ما ران عليها وجدد وهجها ..

ولمعانها .! وموشحة لسان الدين بن الخطيب تقفز إلى الأذهان . تتلألأ أبياتها على هامات الحسان . وعلى ضفائر شعورهن . مجدولة ..

جـادك الغيث إذا الغيث همى   يا زمـان الوصـل بالأندلس
لـم يـكن وصـلك إلّا حلمـا   في الكَـرى أو خلسة المختلس

وينتقل في توشيحه ..

في ليـالٍ كتمت سرَّ الهـوى   بالدُّجى لولا شموس الغُـررِ
وطر مـا فيه من عيبٍ سوى   أنَّـه مـرَّ كلمـح البصــرِ

فأسبانيا والبرتغال تمثلان « شبه الجزيرة الايبيرية » « وايبيريا » شعار الخطوط الأسبانية أو التسمية الدولية المطلقة عليها مشتقة من هذه « الجزيرة » ! التى شهدت وعاشت على أرضها حضارات عديدة لازالت الحضارة العربية كواحدة من تلك الحضارات واضحة الملامح . بعد أن دخلها العرب . وأقاموا فيها حضارة كبيرة . وتركوا فيها أثاراً رائعة . وامتزجت دماؤهم بدماء السكان الأصليين . ونشروا فيها الثقافة .!

والأندلس كما تقول المصطلحات مأخوذ من قبائل الوندال التى تعود إلى أصل جرماني احتلت شبه الجزيرة الايبيرية وسميت باسمها في حوالى القرن الثالث والرابع الميلادى .

فأندلسيا . أي بلاد الوندال ثم نُطِقتْ بالعربية .

الاندلس : وتطلق اليوم كلمة أندلثيا بالاسبانية على المنطقة الجنوبية من أسبانيا وهواصطلاح إداري لا يمثل المعنى التاريخي لمصطلح الأندلس .! .

وقد تركز حكم العرب . واستقر في هذه الجزيرة منذ فتحها طارق بن

زياد بأمر من القائد موسى بن نصير سنة ٩٢ هـ « ٧١١ م » حتى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ أي « ١٤٩٢ م » . ومن المدن التى تركزت فيها الجهود والآثار العربية أبان هذه القرون : قرطبة . أشبلية . غرناطة مالقة . ماربيـيا » وكل مدينة من هذه المدن تستحق صفحات . واستطلاعات كي تستوفي حقها من الوصف . مع مالها من ارتباط بالحكم والآثار العربية الموجودة فيها .! والتطرق إلى بعض الشخصيات الاندلسية البارزة !! والنخل سامقات تشرئب بأعناقها . وتعلو بهاماتها من بين الأشجار كشجرة غريبة حينما جلبها الخليفة عبد الرحمن الداخل من دمشق وغرسها في منية الرصافة بظاهر قرطبة . فلما رآها فريدة من بين الأشجار أنشد يقول :

تبدت لنـا وسط الرصافـة نخلـة
تنـاءت بأرض الغرب عن بلد النخـل
فقلت شبيهى في التغـرب والنـوى
وطـول التنـائى عـن بنـي وعـن أهـلي

وأمير الشعراء شوقى يجسد عزيمة « صقر قريش » عبد الرحمن الداخل . والبون الشاسع بين الشرق والغرب وطموحه كأول ملوك بني أمية في الأندلس. !

مـن لنضْـوٍ يَتنـزى ألمـا
بَـرَّح الشَـوق بـه فـي الغَلَسِ
حـنَّ للبـان ونـاجـى العلمـا
أين شـرقُ الأرضِ مـن أنـدلس
فـي كتـاب الفخـر للداخل بـاب
لـم يَلجْـهُ مـن بنـى الملك أميـر

في الشمـوس الزُهر بالشـام انتمـى
ونمـــــى الأقمــــار بالأنـــــدلس

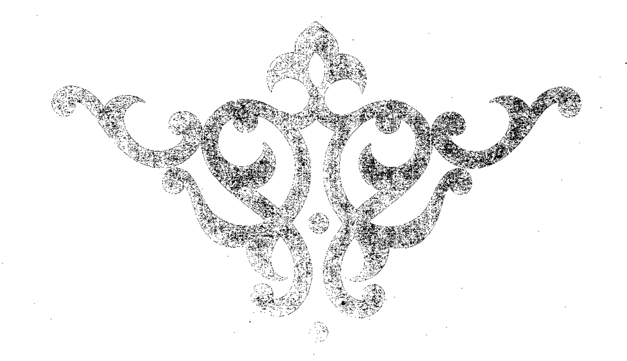
فالآثار العربية كمحصلة لتلك القرون في الأندلس كثيرة لازالت شامخة . تمثل عظمة الرجال . في تلك الحقب على الرغم من مضى عدة قرون عليها الّا أنها لازالت قائمة . كأعمال فريدة . يتهافت على زيارتها السياح من كل بقاع العالم ليشهدوا ويشاهدوا « تاريخ العرب » حيث تظهر على ملامحهم بوادر الاعجاب والتقدير لتلك الأدوار التى تمثلت في قدرة العرب ومستوى تفكيرهم وعظمة انجازاتهم في زمن كانت الدول تعانى من التخلف والقهر والضعف وذلك من خلال .. جامع قرطبة الذي يعتبر قطعة فنية من أروع المعالم الأثرية العربية نظراً لدقة تصميمه وروعة بنائه . والابداع الفنى فيه .

وقصر الحمراء في غرناطة وما يستشف من تصميمه من روح ذلك العصر وأساليب الحياة فيه والأبراج والقاعات والحدائق التى تثير الاعجاب وتظهر الابداع ..!

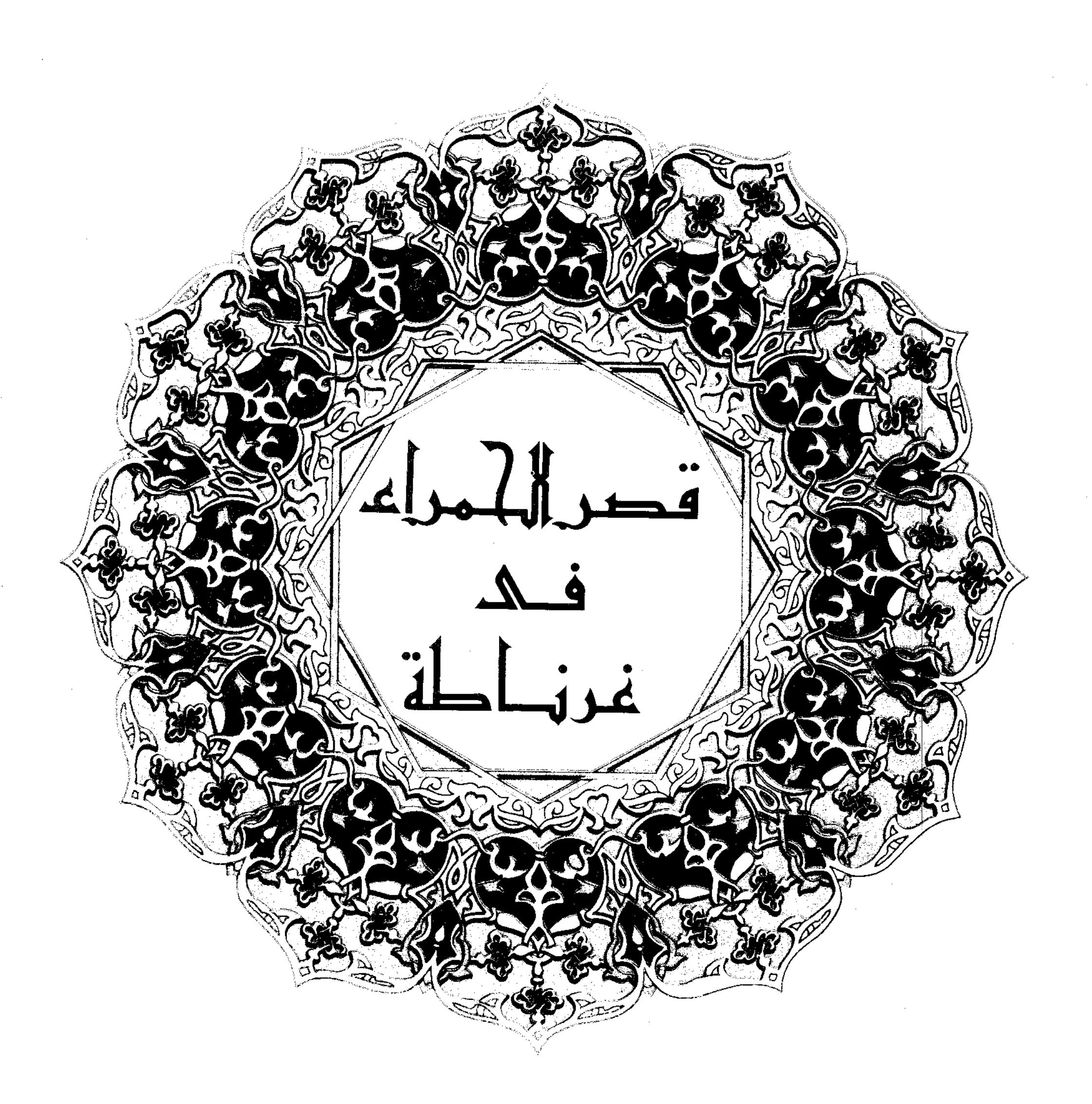
وفي اشبيلية القصر القديم الذي بني على انقاض قصر الملك المعتمد بن عباد وفيه سكن ملوك الطوائف والموحدين . هذه مجرد معالم بارزة .. تمثل فن العمران الذي نبغ فيه المسلمون .

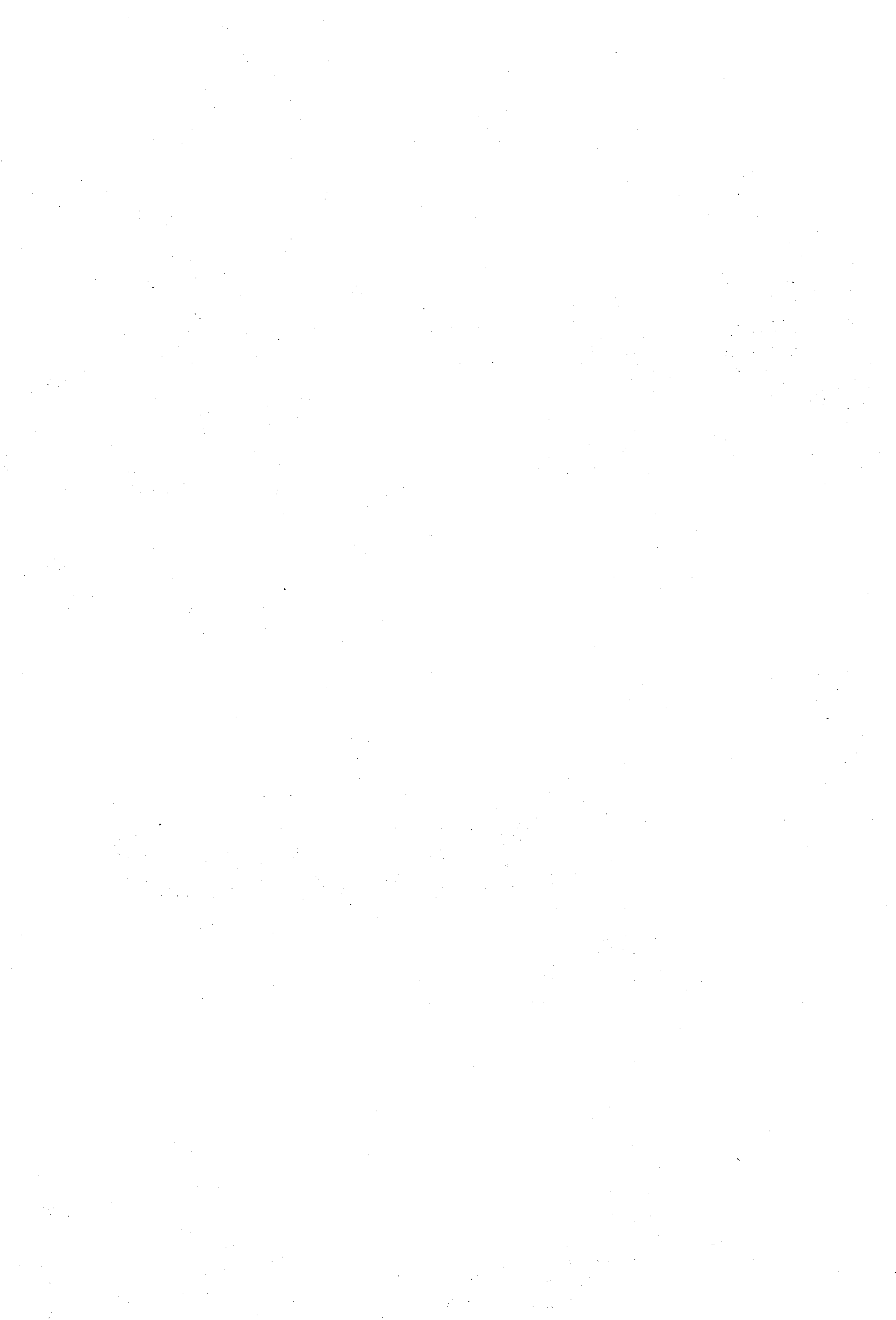
ولازالت مدن الأندلس . تتخذ من فن العمارة الإسلامية طابعها ، ولم تستطع الخروج عن هذا الجانب الفني الأصيل الذي أبرز تفوقه ونجاحه على مدى القرون وان كنت اطمح لاضافة المزيد من الانطباعات والمشاهدات التى اختلجت في داخلى . عن جمال الطبيعة وسحرها الفتان .

والخضرة التى تمتد وتبسط رداءها إلى مرمى الأفق .. وعلى مدى النظرات البعيدة . يميناً وشمالا مع استصلاح للأراضي . واستغلال لثرواتها . واستخراج لمحاصيلها فلا يقع النظر إلا على بساط أخضر . ونحن نخترق تلك الغلال والمزارع .. أدركنا معنى الفردوس المفقود ! وستحظى تلك الآثار كل واحدة منها باستطلاع منفرد . فيه من التوسع والتفاصيل ما يشبع نهم كل مشتاق ويروي ظمأ كل تواق إلى النهل من ينابيع الأندلس و معارفه .






قصر الحمراء
فى
غرناطة



القصر: صورة معبرة لحضارة عربية عريقة ازدهرت في اوربا.

بهو الاسود: تحفة فنية رائعة تنساب منه المياه !!



قصر الحمراء في غرناطة

يقول ابن خفاجة الأندلس :

يا أهل أندلس لله دركم
ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم
فلو تخيرت هذا كنت اختار

الحمراء مجموعة من الأبنية تقوم على ربوة تطل على غرناطة بالاندلس .. «الموسوعة العربية الميسرة » حيث تعتبر الحمراء أجمل أمثلة العمارة الإسلامية بالأندلس وهى شاهد على سمو حضارتها الإسلامية .. حيث يبرز القصر العربى بجمال شكله .. وسط الأبراج والأسوار المحيطة والحدائق الغناء . ! كما أنه أصبح وجهة السياح الأولى الذين يتوافدون على زيارته والتجول في كافة ارجائه وقاعاته التى تعتبر تحفة فنية .. تمثل عصرها أعظم تمثيل وتكشف عن قدرة العرب وتفوقهم في مجال الفن العمرانى مع حسن التخطيط .. وروعة التنظيم .. ! .

ولعل الآثار العربية في أسبانيا أصبحت أحد العوامل الرئيسية لاجتذاب السياح من كل انحاء العالم .. كما أن السياحة أصبحت مصدر دخل رئيسى .. هام في حياة الأسبان ..

فالفنادق تمتلىء بهم والشوارع والسيارات ووجهتهم الأولى هى .. « قصر الحمراء » في غرناطة .. لأنه بحق يمثل « الفن المعمارى الراقى » حتى أن الطابع العمرانى يستمد بعض عناصره الأساسية من ذلك النموذج

الفريد .. على الرغم من مضي عدة قرون عليه ..!

فالازدحام الشديد على شباك التذاكر لدخول القصر شيء لايصدقه إلا من رآه .. فثمن التذكرة للشخص الواحد بحوالى (٣٠٠) بازتا .. أي حوالى ستة أو سبعة ريالات تقريباً .. وكل قاعة تمتلىء .. وكل بهو مزدحم بالزائرين وهم يتأملون .. ويطالعون ويتفحصون .. ويرددون « أرب .. أرب ، أى « عرب .. عرب »!!..

والمرشدون يشرحون لهم عن تفاصيل القصر .. وكيفية تصميمه .. فالسياح الأوروبيين .. والامريكان يأتون على شكل مجموعات .. تحملهم حافلات السياحة وتتجول بهم .. فالزائر لقصر الحمراء .. يحتاج على أقل تقدير إلى أربع ساعات سيرا على الأقدام .. أمضينا هذه المدة ونحن من « المتعجلين » لكننا ونحن نتجول لا نشعر بأنفسنا ولا بالوقت لأننا ندخل في أعماق التاريخ ونتوغل في دهاليزه .. وصالاته .. فكل شيء بديع ورائع .. ولعل الأروع والأجمل هو قدرة الدولة في المحافظة على هذه الآثار وصيانتها كى تعيش كل هذه السنين .. وهى قابلة لتعيش سنيناً أطول .. في حين أن بعض الأمم وبعض الدول فقدت الكثير من التاريخ والعراقة نتيجة إهمالها لآثارها .. وعدم قدرتها على المحافظة عليها باستمرارية صيانتها .!!

أقمنا في فندق « قصر الحمراء بلاس » !.. وهو مقام منذ سبعين عاما .. كما يقول صاحبه .. على هضبة مرتفعة من الحمراء .. تطل على مدينة غرناطة .. ويقع على بعد عدة مئات من « قصر الحمراء الحقيقى »!..

وقد حاولوا في بنائه وتصميمه أن يكون قريب الشبه من القصر العربى .. حتى أنهم نقلوا بعض العبارات العربية المكتوبة هناك مثل عبارة « لا غالب إلا الله » بعد تصويرها وكتابتها بالخط العربى كما هى « بالخط

الكوفي » في بعض صالات الفندق وقاعاته .. إلا أن البون شاسع بين القصرين ..! .

ولكن مما يؤلم مما شاهدنا .. هو أن تلك العبارة العربية المكتوبة قد جاء نصيبها في أحد المواضع على مدخل « بار الفندق » ؟! .. وقد عرضت إلى أسفل منها بعض المشروبات الروحية .. كما أن نسبة زوار هذه الآثار ذات الصلة بتاريخنا العربى من الأخوة العرب قليلة جداً .. ولا تكاد تحظى باهتمام الكثير منهم .. ممن تتهيأ لهم فرص زيارة هذه المنطقة .. فالغالبية الساحقة من الزائرين لها هم من الأوروبيين والأمريكيين .. الذين يقضون أوقاتهم في التنقيب والبحث والتأمل .. والدراسة! ..

ولا أود أن أطيل أو أسهب .. في بعض الجوانب التى قد تتشعب .. لكننى سأنقلكم إلى قصر الحمراء مباشرة كما رأيته وما يشتمل عليه بعد الرجوع إلى بعض المصادر التاريخية لأثبات بعض الحقائق التاريخية ذات الصلة والارتباط بتاريخ أمة عربية بقيت آثارها شامخة على مر العصور وتعاقب الأجيال ..

وقد أسهمت هذه الأمة في نقل الحضارة واحدثت ثورة حضارية فنية وعلمية كان لها أبلغ الأثر في أوروبا عبر القرون الماضية!!..

قصر الحمـراء ..

قصر الحمراء .. من عيون الآثار الإسلامية الأندلسية الباقية بمدينة غرناطة عاصمة دولة بنى الأحمر سمى الحمراء نسبة إلى أصحابه من بنى الأحمر .. وقيل لأنه بنى على منحدر جبل شلير الذي يتميز بتربته الحمراء .. وكانت بلاطا لملوك العرب شيدت في البداية لتكون بمثابة قلعة !.

ويتكون قصر الحمراء .. من عدة منشآت يجمعها سور يحيط بها

وتصل بينهما البساتين وينسب بناؤه إلى أكثر من شخص ولكن اسم السلطان أبى الحجاج يوسف بن الأحمر أكثرها صلة بعمارة هذا القصر .. وبقية أبنية القصر على حالتها غير أن الملك شارل الخامس أزال الحرم وأقام مكانه قصراً على الطراز القوطي..!!

وقصر الحمراء بجمال شكله وسط الأبراج والأسوار المحيطة يستشف من تصميمه وقاعاته روح ذلك العصر وأساليب الحياة فيه حيث تبدو في كل ما يقع عليه البصر مظاهر الدقة والابداع الفنى فهو يثير الاعجاب بفخامة اعداده للأغراض المخصصة له وتضيف الطبيعة إلى هذا الاطار الساحر ما ابدعه الخالق من نور فياض وماء صاف وأفق حالم .

أهم أبنية قصر الحمراء :

قاعة العدل : بناها السلطان أبو الحجاج يوسف وهى مربعة مزخرفة بنقوش وفي خارجها بهو مزخرف ذو أعمدة رخامية .

بهو الاختين : قيل أنها سميت بهذا الأسم لإحتواء أرضها على قطعتين متساويتين وفريدتين من الرخام وقد نقش عند مدخلها بالخط الكوفى .. ولا غالب إلا الله!! مكررة ونقشت هذه العبارة أيضاً حول جدرانها في أسفل وفي أعلى ونقش تحتها بعض الأبيات المقتبسة من قصيدة الوزير الشاعر ابن زمرك فلقد كانت نظرات السياح تلاحقنا ونحن نقرأ الأبيات الشعرية التى تزين الجدران كحلية جمالية إلى جانب روعة الشعر تقتطف منها هذه الأبيات :

تبارك من أعطى الامام محمدا
مغانى زانت بالجمال المغانيا

والا فهـذا الـروض فيـه بدائـع
ابى الله أن يلقـى لهـا الحسن ثانيا

ومنحوتـة من لـؤلـؤ شـق نورهـا
تجلى بمـرفض الجمـان النواعيـا

يـذوب لجين سـال بين جواهـر
غـدا مثلهمـا في الحسن أبيض صافيـا

تشـابـه جـار للعيـون بجـان
فلـم نـدر منهما كـان جاريـا

ألـم تـر أن الماء يجرى بصفحهـا
ولكنهـا مـدت عليـه المجاريـا

كمثـل محب فـاض بالدمـع جفنـه
وغص بذاك الدمـع إذ خـاف واشيـا

وهـل هى في التحقيـق غير غمامة
تفيض إلى الآسـاد منهـا السواقيـا

فيـامن رأى الآساد وهـى روابـض
عداهـا الحيـا عن ان تـكون عواديا

وياوارث الانصـار لا عـن كلالـة
تـراث جـلال يستخف الرواسيـا

عليك سـلام الله فاسـلم مخـلدا
تجـدد اعيـادا وتبـلى اعاديـا

ويحيط بدار الاختين عدة شرفات الشرفة الرئيسية تسمى منظرة « دار اشا أو لبذاراشا » ويقال أن الأولى تحريف لدار عائشة والثانية لعين دار عائشة..!!

بهو الأسود :

تؤدى قاعة الاختين من بابها الجنوبى إلى أروع اجنحة الحمراء بهو الأسود أو السباع والفناء مكشوف مستطيل الشكل مكسو برخام يحيط به رواق يتكون من (١٢٨) عمودا من المرمر وفي وسطه نافورة من الرخام الأزرق محمولة على أثنى عشر سبعا ومنها اشتق اسمها وفوق دائرة قصعة النافورة التى تحملها الأسود هى تحفة فنية رائعة وكان الجناح الملكى الخاص يتألف من بهو الأسود وصالاته المجاورة وهنا نلمس الحياة الصبية الوادعة وراء النور المتسلل من البهو وينساب إلى أرجاء المكان منتشرا على مياه القنوات الصغيرة التى تشق أديم الأرض .

قاعة بنى سراج :

قاعة بنى سراج تنسب إلى عائلة بنى سراج من وزراء بنى الأحمر وهى قاعة مربعة سقفها من المقرنصات وأرضها من الرخام وتتوسطها « بركة ماء » وتقع أمامها قاعة أخرى .

قاعة الملوك :

تقع قاعة الملوك في الناحية الشرقية لبهو الأسود وتعرف أيضاً بقاعة العدل ومدخلها مثلث الجوانب رسمت في سقف حناياها الثلاثة صور عشرة فرسان مسلمين يلبسون العمائم ويجلسون على الوسائد وتتسم هيئاتهم بالوقار ويقال أن هذه الصور لملوك غرناطة العشرة الذين تولوا الحكم قبل أبى عبد الله أولهم الغنى بالله وآخرهم السلطان أبو الحسن والد أبي عبد الله !

بهو السفراء :

نقشت في باب بهو السفراء العبارات التالية « الحمد لله على نعمة

بهو الأسود فى فناء القصر

ساحة الريّاحين ـــ الخضرة ـــ والمياه

الإسلام وعز لمولانا أبو الحجاج عز نصره »!! وهو على شكل مربع ويعرف كذلك بقاعة السفراء .

ساحة الرياحين :

ساحة الرياحين أعجب ما في الحمراء جميعا تتوسطها بركة مستطيلة وأحواض تحف بجوانبها أشجار الريحان بناها محمد الخامس ونقشت في زواياها العبارة التالية .. النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبى عبد الله أمير المؤمنين والآية « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم »!

حمامات الحمراء :

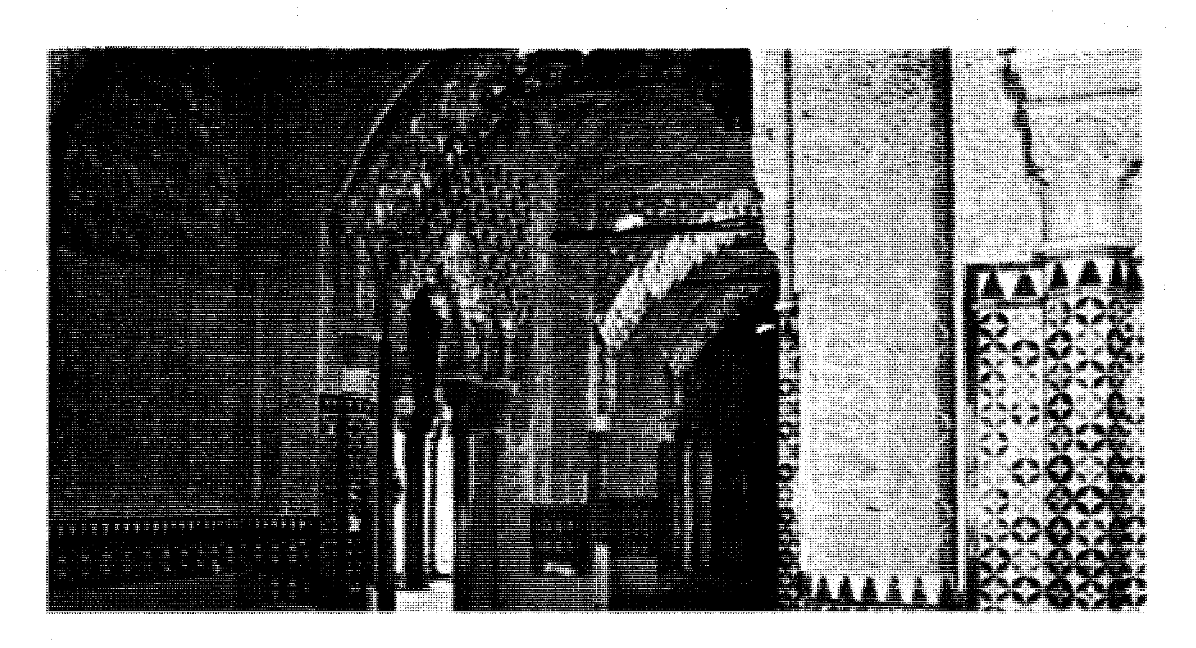
يعتبر حمام الحمراء الواقع إلى جانب السور قرب بهو البركة من أروع الحمامات العربية وتشتمل هذه الحمامات على ثلاثة أقسام الاستراحة والغرفة الدافئة والغرفة الساخنة أما الاستراحة ويسميها الأسبان قاعة السريرين فتتألف من سريرين أقيما بالطوب وكسيا بالقراميد ذات الألوان المختلفة أما القسم الثانى فهو الغرفة الدافئة وفيها حوض كبير تتصل به أنابيب سفلية علاوة على أنابيب أخرى بالحوائط لتدفئة المكان .

جنة العريف :

كانت حديقة يقصد إليها ملوك بنى نصر للاستجمام والنزهة والتمعن في محاسن الطبيعة تطل ابهاؤها على منظر عام للمدينة ومروجها وعلى الحمراء المجاورة ومن أهم ملحقاتها الرئيسية ما يطلق عليه بهو لاريا وبهو السلطانة والحديقة العليا بسلالمها التى تنحدر المياه من حوافيها حيث يرى الزائر في جنة العريف منظرا طبيعيا رائعاً تحيط به أشجار السرو وفي هذا المكان يعقد المهرجان الدولى للموسيقى والرقص !

إحدى الساحات الجميلة

الفن والهندسة المعمارية تتجلى فى قصر الحمراء !



أحد مداخل القصر

القصبــة :

القصبة حصن كان يستخدم لحراسة الحمراء وأهم اجزائه « برج الحراسة » وترمز هذه التسمية إلى الغرض الذى كان مخصصا له وهو السهر على أمن الأهلية تسمع أصوات أجراس الحصن على دقات داوية عند دنو الخطر ولدقاته رنين خاص يشير إلى ري المروج خلال ساعات الليل ومن برج الحراسة ترى المدينتان القديمة والحديثة والمروج والجبال الممتدة وجنة العريف الحمراء نفسها يصل إليها الزائر من « حديقة الدرب » وقد أقيمت مكان موقع دفاعي قديم في وسط القصبة ترى ساحة السلاح وكانت في أواخر العصر الإسلامي معسكرا للجنود ولا تزال باقية منها حتى الآن بعض اطلال من دورها القديمة وتشكل بوابة برج السلاح وبرجها أهم المداخل من جهة البيازين كما تقع ساحة « الجب » بين القصبة والقصر العربى !!.

ان من الأشياء العجيبة التى لفتت انتباهى هو أن المياه لازالت تنساب مع مجاريها القديمة بشكل طبيعى دون أن يتعرضوا إلى مجاريها بتحويلها إلى أنابيب أو شبكة مياه حديثة بل يتعهدون هذا المجرى بالصيانة المستمرة فالمياه مازالت محتفظة بعذوبتها وعلى طبيعتها .

لم يحاولوا كما يحدث لبعض العيون أو المياه التى تصل وتسقى بعض المدن فيحولونها إلى شبكات فتفقد بعض مصادرها وبعض روافدها وبالتالى .. تنضب .لأن الينابيع لم تعد تتصل بها بل تتسرب داخل الأرض!!

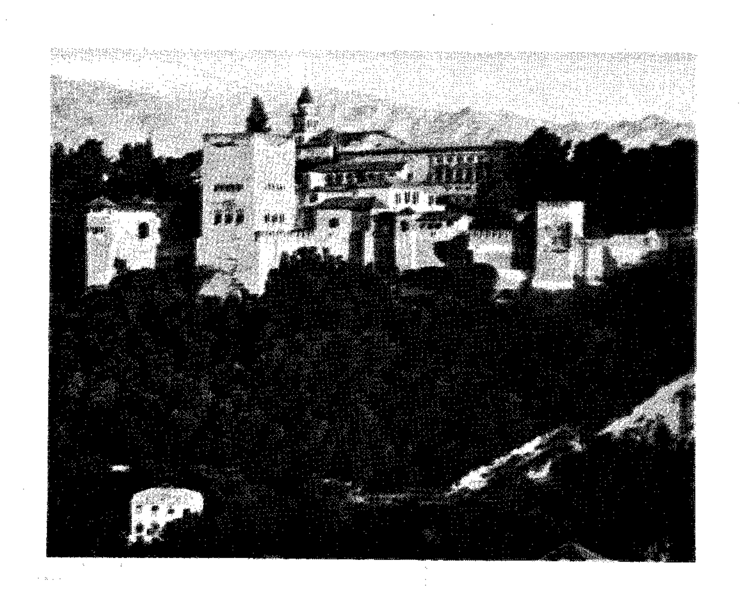
نزار قبانى والأندلس :

فالمناسبة تدعونى للاستشهاد بقصيدة الشاعر العربي .. نزار قبانى .. عندما زار الحمراء فتمثل التاريخ أمامه مثل كومة رماد فتراكمت الصور أمام ناظريه واحتشدت الذكريات فترجمها نبضا يدق في الأعماق .. ودفقا يخالط المشاعر يقول نزار :

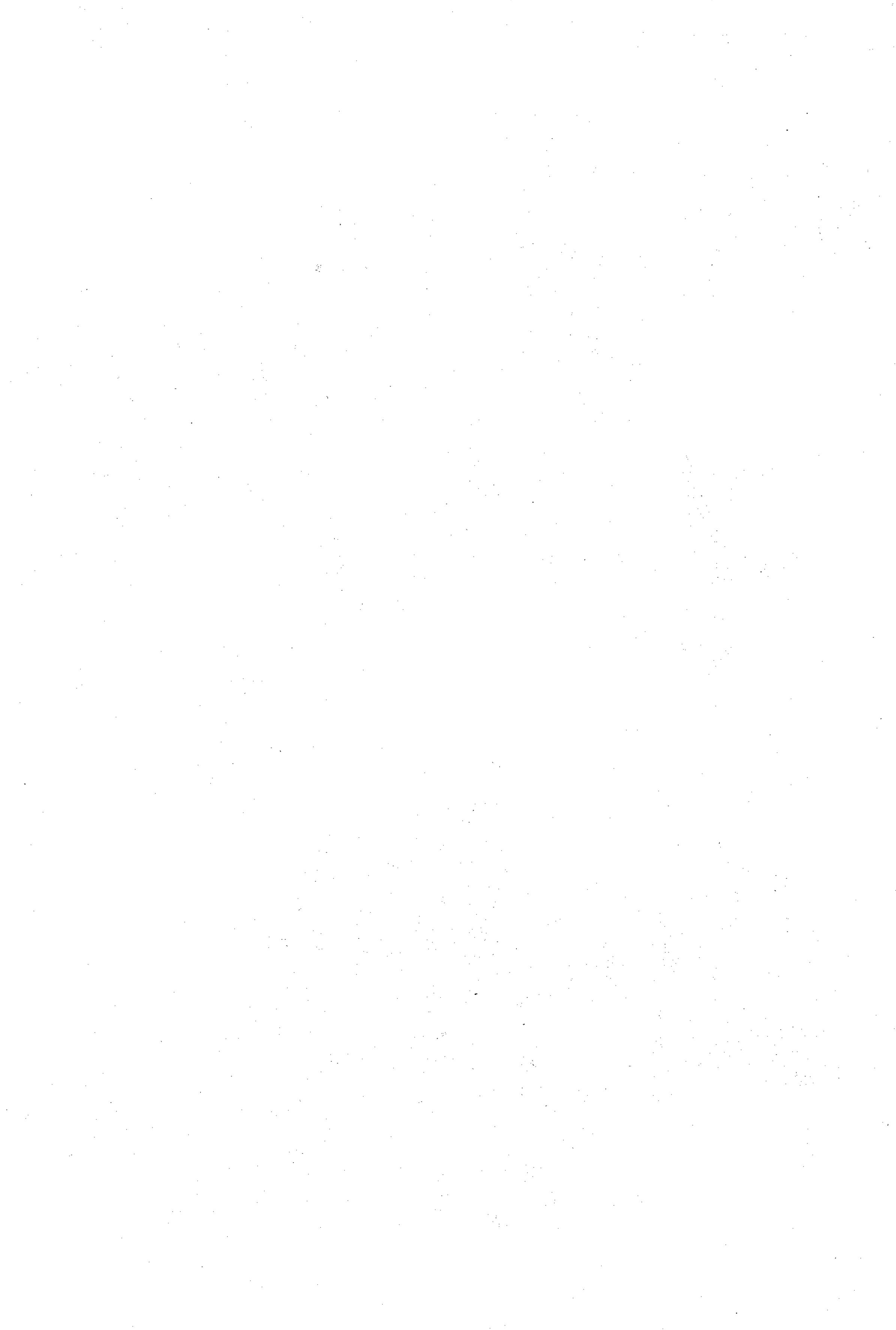
في مدخل الحمراء كان لقاؤنا
ما أطيب اللقيا بلا ميعادِ
عينان سوداوان في حجريهما
تتوالد الأبعاد من أبعاد
هل أنت أسبانية ساءلتها
قالت : وفي غرناطة ميلادى
غرناطة ! وصحت قرون سبعة
في تَيْنك العينين بعد رُقادِ

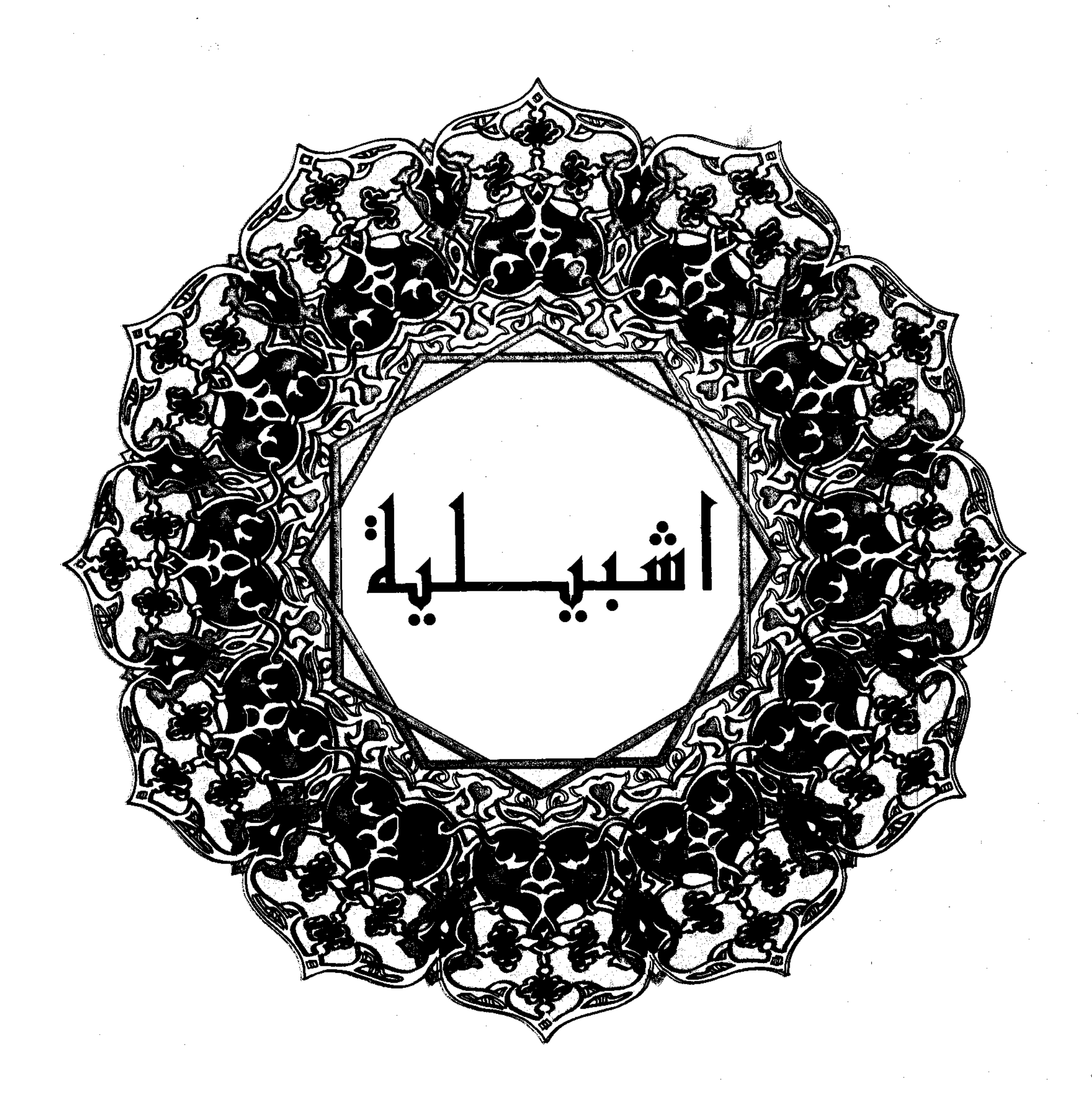
وأميــــة راياتهــــا مرفوعــــــة
وجيادهــــا موصولــــة بجيــــادِ
مـا أغرب التـاريخ .. كيف أعادني
لحفيــدة سمــراء مــن أحفــادي
وجــه دمشقــيّ رأيت خلالــــه
أجفـــان بلقيس وجِيــد سعــادِ
ورأيت منزلنــا القــديم وحجــرة
كـانت بهــا أمـي تمـد وســادي
والياسمينــــة رُصِّعــــت بنجومهــــا
والبركــــة الذهبيــــة الانشــــادِ
ودمشق أين تكــون ؟ قلت تريثهــا
في شعــرك المنســاب نهــر ســواد
في وجهـك العــربى في الثغــر الذى
مــا زال مختـزنا شمــوس بــلادي
في طيب جنـات العريف ومائهــا
في الفــــل في الريحـــــان في الكُبَّــــــادِ
سارت معي والشعر يلهث خلفهــا
كسنـابل تــركت بغيــر حصــاد
يتألـق القــرط الطــويل بجيدهــا
مثــل الشمــوع بليــلة الميـــلاد
ومشيت مثـل الطفـل خلف دليلتـى
وورائي التــاريــخُ كــومَ رمــاد

الزخرفـــات أكـــاد أسمع نبضهـــا
والـزركشات عـلى السقـوف تنـادي
قـالت : هنـا الحمـراء زهـو جدودنـا
فاقـرأ عـلى جدرانهـا أمجـادي
أمجـادها ! ! ومسحت جرحـاً نازفاً
ومسحت جرحـاً ثانيـاً بفـؤادي
يـا ليت وارثتـي الجميلـة أدركـت
ان الـذيـن عنتهـم أجـدادي
عانـقت فيهـا عندمـا ودعتهـا
رجـلاً يسمـى طـارق بـن زيـاد

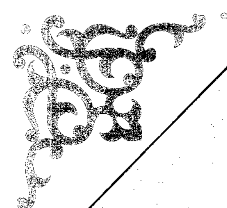


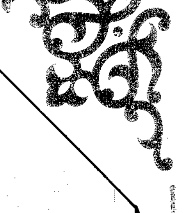
قصر الحمراء





اشبيلية





المدينة الأندلسية التي شهدت أمجاد المعتمد بن عباد

في القصر يبدو أثر مواطئ أقدام الرميكية وتفوح رائحة المسك والكافور وماء الورد







أشبيلية

كانت الشمس تزحف نحو المغيب . عندما دخلنا « أشبيلية » مدينة السحر والجمال . أو التاج الذهبى لأسبانيا ذات ثروة فنية مدهشة بالاضافة لكونها موطن الآثار .

مثل « الخيرالده » .

أو « الخالدة » برج من عهد الموحدين »!! والقصر العربى المدجن الزاخر بالأساطير التي تعود إلى العصور الوسطى . وشوارعها الضيقة — فهى موطن لفنانين عظام . وقد اتخذها الأدباء مسرحاً لرواياتهم وقصصهم

تأثير العمارة الإسلامية يغلب على النشأة العمرانية



إلى جانب ما تميز به المدينة نفسها من جمال خاص بزهورها الموردة في ساحات منازلها وشوارعها الضيقة النظيفة التى تزيدها جمالا .. وجمال نسائها بعيونهن ذات الجفون الناعسة وفتنتهن الخجلة وسمرتهن المميزة كسلالات امتزجت فيها الدماء العربية والأسبانية ! .

وإذا اضفنا إلى هذا السحر الراسب في لياليها الوادعة في الربيع ونوافذها المزهرة . ومناظرها الطبيعية والصفاء الناعم المخيم عليها . والجمال الخفى المسدول على أفنية دورها حيث تتجلى صورة أشبيلية التى يفتش عنها السائح ويستمتع بلحظاتها على ضفاف الوادى الكبير الذي يخترقها ! .

وتبعد أشبيلية عن العاصمة مدريد ٥٤٢ كم جنوبا وهى مرفأ نهري وتقصدها شركات الملاحة . وفيها مطار ممتاز وتقع إلى الغرب من غرناطة وتبعد عنها بحوالى ٢٢٠ كم تقريباً ..

لمحة تاريخيـــة :

سيطر الرومان عليها عام ٢٠٥ قبل الميلاد وأصبحت رومانية لدرجة أنها أنجبت أباطرة لروما أما أزدهار أشبيلية . على عهد العرب فظاهر في بناء المنارة « الخيرالدة »!! فلقد قال عنها مؤرخ عربى اسمه « الشقندى » إذا طلبت حليب العصفور في اشبيلية لوجدته ويتحدث عنها التاريخ الاسلامي فيقول أنها أعظم مدينة في أسبانيا . ومن أهم مآثرها التى تتعلق بالتاريخ العربى ما يلى :

*** الخيرالده .. « الخالدة » ..!!**

الخالدة وهى برج ماثل لعظمة العرب مبني على اربع زوايا مذهبة . أكمل بناؤه عام ١٥٦٨ م وزين بقباب ضمت ٢٥ ناقوسا .!

البرج الذهبى من آثار العرب

القصر العربى

النهر والبرج الذهبي :

يطل على الضفة اليسرى من نهر الوادي الكبير البرج الذهبي وسمى كذلك لأنه كان مكسوا بالزليج المذهب وقد بنى هذا البرج للدفاع عن المرفأ ومراقبة المراكب القادمة ونهر الوادي الكبير هو الاسم الذي اطلقه العرب عليه وقد قيل أن هذا النهر كأنه صنع لأشبيلية خصيصاً .. وهو يشكل أهم طريق نهرية لأسبانيا بالنظر إلى حجم البضائع التى تمر فيه .! .

القصر العربي :

بني القصر القديم على انقاض قصر الملك المعتمد بن عباد وفيه سكن ملوك الطوائف . والموحدين . وفي داخله ساحة العذارى .. وساحة الدمي بقاعاتها الشهيرة وأهمها قاعة السفراء بقبتها الجميلة . وغرفة نوم الملوك العرب ويحتوى القصر على عدد كبير من المخطوطات . والوثائق النادرة .. والخرائط والرسائل وغيرها وكذلك النقوش والخطوط العربية التى تزين جدران القصر . وحديقة القصر التى تضم مساحات كبيرة وألواناً وأنواعاً من الأشجار والزهور والورود التى يفوح شذاها .

فلقد امتازت أشبيلية بتنوع أحيائها حيث النور يتلون والأزهار والأعياد والمهرجانات تقام . والتى تمثل الألوان الشعبية . وتلمس الأصالة في كل مظاهرها . وتقام المعارض في خيام صغيرة أو أكواخ حولها الزهور والمصابيح المختلفة .. ويشارك فيها الخيالة .. ورقص الفلامنكو ومصارعة الثيران وفي مهرجانات أعياد الربيع تشترك بلاد الأندلس بكاملها .

وجهه الشبه بين القاهرة وأشبيلية :

نهر الوادى الكبير الذي يخترق مدينة أشبيلية يشبه إلى حد كبير نهر

البرج الذهبى يطل على نهر الوادى الكبير

الحياة الوادعة فى إحدى ساحات القصر

النيل ونهر دجلة وأشبيلية في هذا الموقع قريبة الشبه بالقاهرة بحكم موقعها على ضفتي النهر إلا أن ما تمتاز به أشبيلية هو محافظتها على عذوبة مياه نهرها وعدم تسليط المجارى عليه كما هو الحال بالنسبة لنهر النيل الذى تتدفق عليه مياه المجاري فتلوثه .

فالمنتزهات والشاليهات والكازينوهات تنتشر على ضفتي النهر . حيث يمضى الناس أجمل اللحظات بين المياه المنسابة .. والخضرة التى تريح النفوس وتبعث الطمأنينة والراحة فيها .. والهدوء الذي يسود الأجواء .. وحسن المعاملة .. ولطف المعشر .. بعيداً عن الاستغلال وأساليب الاحتيال الذي أخذت تمارسه بعض الدول لمثل هذه الأماكن في تعاملها مع السائح الاجنبى حتى أخذت تفقد مكانتها السياحية بسبب انصراف الكثيرين عنها .. واتجاههم إلى الدول التى تحسن معاملة الزائر والسائح .. ولا تحاول .. استغلاله .. أو « أستلطاخه »!!

والخاسر الوحيد « هى تلك الدول » لسوء تصرفاتها أو تصرفات بعض الأفراد فيها .. بهذه الأساليب والطرق التى يمارسونها حتى خلقوا النفور في النفوس وحملوا السائح لقضاء أجازاته في الدول التى تحسن التعامل وتحترم المشاعر .. ويشعر فيها الانسان بكرامته ..!!

بنود عباد .. أصحاب أشبيلية :

لقد أزدهرت أشبيلية أزدهاراً ثقافيا وتجاريا أيام دولة المرابطين والموحدين فلقد أصبحت مقر بنى عباد من ملوك الطوائف بالأندلس من عام ٤١٤ هـ ـــ ٤٨٤ هـ حيث قامت دولتهم على انقاض الدولة الأموية الأندلسية وأسس دولة بنى عباد قاض واسع الحيلة كبير الثراء اسمه أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي توفي فخلفه أبنه .. وهكذا تسلسلت الخلافة حتى وصلت إلى أحد بنى عباد يسمى عباد ولقب

هذه الأرض شهدت مجد بنى عبَّاد

مظهر فلكورى أسبانى

نفسه « المعتضد بالله » فخلفه ابنه المعتمد على الله محمد بن عباد ١٠٦٩م ــ ١٠٩٦م آخر ملوك أشبيلية وأكثرهم شهرة . وكان أديباً شاعراً . حاضر البديهة . مرهف الاحساس جزل الألفاظ .. كثير المعانى .. جمع إلى شاعريته الشجاعة والجود والطموح . وتروى عنه قصص وروايات عديدة الموسوعة » ص ٤١٦ .

فالمعتمد بن عباد اقام مملكة بنى عباد في أشبيليه وازدهرت في عهده .. وحقق شهرة واسعة ومكانة عالية .. ولذلك كانت حضرته ملتقي الرجال ووجهة الشعراء ..وملتقى الفضلاء حتى أنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه ..!! .

والمعتمد شاعر مطبوع .. ولشعره طعم ومذاق يقول عن الهجر وهو يشبه ساعات الوصال بالبدور :

أكثرت هجرك غير أنك ربما
عطفتك أحياناً على أمورُ
فكأنما زمن التهاجر بيننا
ليلٌ وساعات الوصال بدور

وهو هنا في موضع آخر يظهر تشوقه .. ويبدى لوعته ويتمنى زيارة من يحب إلا أنه يخشى عيون الرقباء .. وهو يبدى أستعداده للسير نحوهم على الوجه أو على الرأس ..!! ويظهر أن الحب هو الحب .. بما فيه من الخنوع والخضوع لا فرق بين ملك .. وبين أنسان عادي .:!!

لولا عيون من الواشين ترمقنى
وما أحاذر من أقوال حراس

لزرتكم لا أكافيكم .. بجفوتكم

مشياً على الوجه أو سعياً على الرأس

وله أشعار عديدة في كافة الأغراض ليس هذا مجالها لكننا نستشهد بما له علاقة بالاستطلاع وما يمثل أي جانب من ذلك العصر ..!!

الرميكية .. زوجة المعتمد

والرميكية كانت سُرية المعتمد اشتراها من رميك بن حجاج فنسبت إليه . وكان قد اشتراها منه في أيام أبيه المعتضد بالله . فأفرط في الميل إليها وغلبت عليه وأسمها اعتماد . فأختار . لنفسه لقباً يناسب اسمها هو « المعتمد »!! وفيات الأعيان ج٤ ص٤٢٨ ومن القصص التى تروي عن المعتمد والرميكية . وحبه لها وولعه بها .. أنها .. تمنت أن تسير حافية القدمين على الطين .. لأن القصر .. مفروش .. بالسجاد والديباج والمفارش الفاخرة .. الناعمة .. فأمر المعتمد أن تفرش الأرض .. بالمسك والكافور بعد خلطها بماء الورد ..!!

فسارت عليها الرميكية .. وهى رواية تدل على مستوى البذخ والترف والرفاهية التى بلغها المعتمد وأسرته الحاكمة . كما تصور مدى حبه .. للرميكية أم بنيه ! ومما يثبت صحة هذه الرواية هو ما ورد في شعر المعتمد وهو في الأسر حينما رأى ابنتيه حافيتين وقد حضرن للتسليم عليه في سجنه من قصيدته المشهورة :

يطأن في الطين والأقدام حافية

كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا

المعتمد وابن عمار :

محمد بن عمار الأندلسي الشلبى الشاعر المشهور وهو وابن زيدون فرسا رهان وكانا شاعرى ذلك الزمان وكانت ملوك الأندلس تخاف من ابن عمار لبذاءة لسانه وبراعته في الشعر ..! فلقد احتواه المعتمد وجعله جليساً وسميرا ووزيرا ثم جعله اميراً وما لبث أن أخذ في العقوق والتمرد على المعتمد فاحتال عليه المعتمد حتى قبض عليه وقتله ومن الأشياء التى تروى وكانت سببا في قتله هو هجاء ابن عمار للمعتمد وأبيه المعتضد حيث قال :

مما يقبح عندي ذكر أندلس
سماع معتضد فيها ومعتمد
اسماء مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

ويقال ايضاً أن أقوى الأسباب لقتله هو هجاؤه لزوجة المعتمد الرَميكية في أبيات منها .

تخيرتها من بنات الهجان
رميكية لا تساوي عقالا
فجاءت بكل قصير الذراع
لئيم النجارين عما وخالا

ويقال ان الرميكية هى التى أوغرت صدر المعتمد وأغرته على قتل ابن عمار لكونه هجاها .!

نهاية بني عباد :

اشتد على المعتمد خطر القونصو السادس ملك قشتاله فاستعان

كانت للعرب أيام ! !

وجه الشبه بين القاهرة وأشبيليه

بـ «يوسف ابن تاشفين زعيم المرابطين في المغرب على أن لا يخضع للملك الأسبانى فقدم يوسف بجيشه وانتصر على القونصو في معركة الزلاقة المشهورة فتنازل المعتمد عن الجزيرة الخضراء ليوسف بن تاشفين ولكنه ابن تاشفين » عقد العزم على خلع ملوك الطوائف ودافع المعتمد عن أشبيلية ببطولة لكن المرابطين دخلوا المدينة عنوة وقبضوا على المعتمد وارسلوه مكبلا إلى « اغمات » بالمغرب حيث عانى من السجن والضيم حتى مات في سجنه ودفن بجوار زوجته « الرميكية » التى ماتت قبله بأيام .

شعره في السجن

والمعتمد في سجنه دخل عليه بناته وكان يوم عيد وكن يغزلن للناس بالأجرة في أغمات حتى أن احداهن غزلت لبيت صاحب الشرطة الذى كان في خدمة أبيها وهو فى سلطانه فرآهن في اطمار رثة وملابس بالية يسرن حافيات في حالة سيئة فانشد :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا
فجاءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الاطمار جائعة
يغزلن للناس لا يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة
أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين والأقدام حافية
كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا

من بات بعدك في مُلك يُسرُ به
فإنما بات بالأحلام مغرورا

رثاء المعتمد

بعد أن قبض على المعتمد وحملوه مأسورا هو واسرته اجتمع الناس في أشبيلية على ضفتي الوادي يبكون بدموع غوادى ينوحون عليه وهم يشعرون باللوعة يقول ابن اللبانة يصف الرحيل .

تبكى السماء بدمع رائع غادي
على البهاليل من ابناء عباد

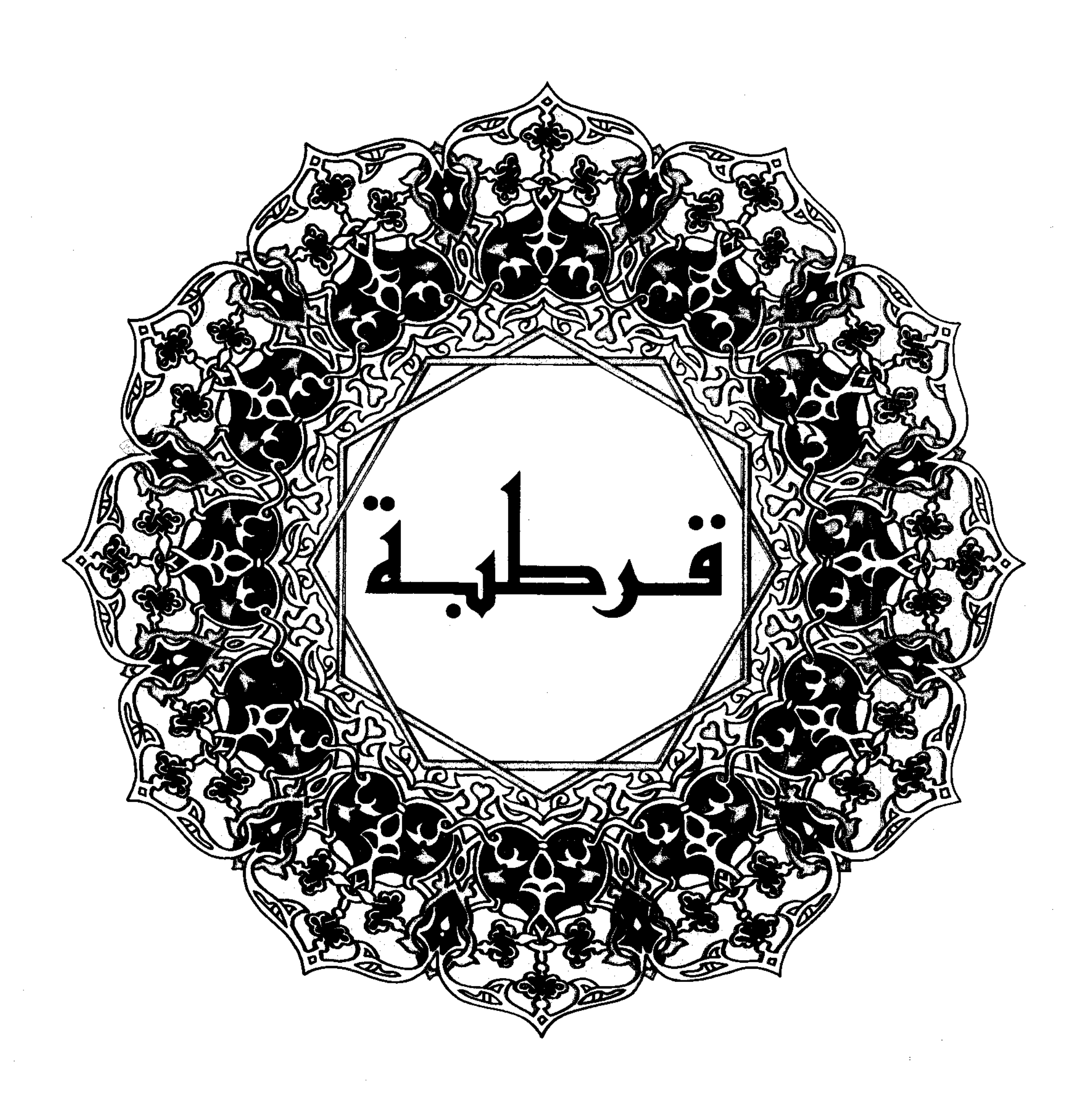
ومن جملتها :

يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

وقد رثاه عدد من الشعراء منهم أبو بحر عبد الصمد بقصيدة طويلة منها :

ملك الملوك أسامع فأنادي
أم قد عدتك عن السماع عوادى
لما نقلت عن القصور ولم تكن
فيها كما قد كنت في الأعياد
اقبلت في هذا الثرى لك خاضعا
وجعلت قبرك موضع الانشاد




قرطبة



مدينة الفكر .. والشعراء .. والفلاسفة

منها انطلقت أول محاولة للطيران



قرطبة

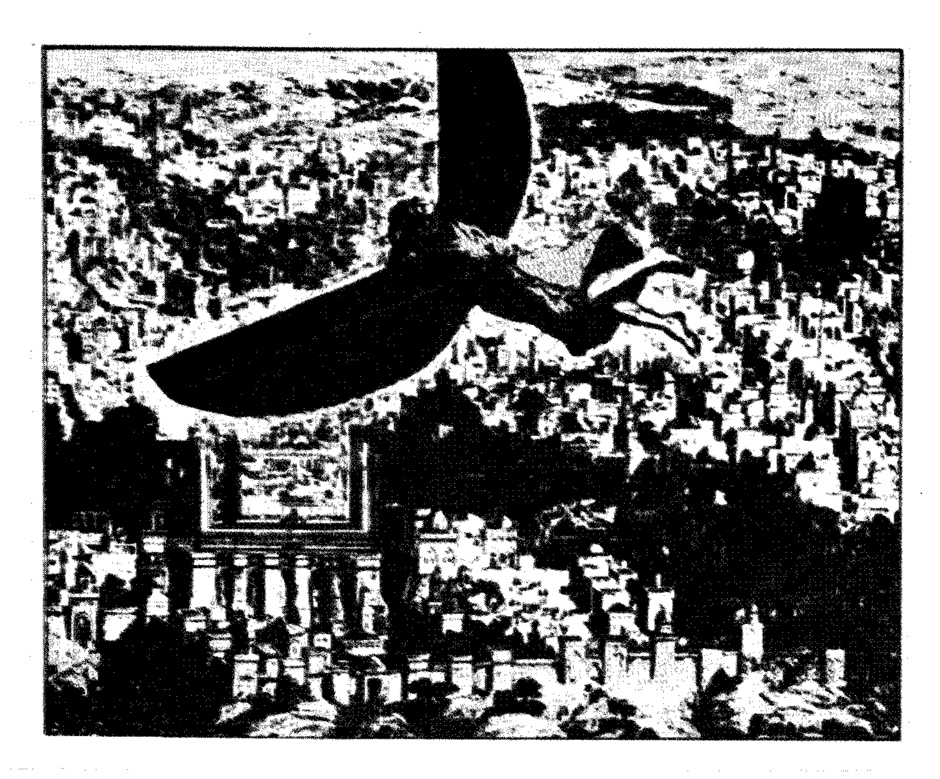
* قرطبة . وأشبلية . وغرناطة . هذه المدن الأندلسية الثلاث في مواقعها تشكل اضلاع مثلث . فأشبيلية تقع إلى الغرب وغرناطة تقع في الشرق . وبينهما تقع قرطبة . مع ارتفاع موقعها إلى الشمال .!

وقرطبة تبعد عن العاصمة مدريد ٤٠٠ كيلو متر تقريباً ويخترق أراضيها من الشرق إلى الغرب نهر الوادى الكبير ويفصل مجراه بين المناطق الجبلية الواقعة إلى الشمال وبين الجنوب . ويأتى إليها فصل الربيع مبكراً مع فيض من الأزهار وتنوع مناظرها الطبيعية . وتتعدد فيها الوديان الجميلة . ويتوفر فيها صيد الطيور والحيوانات وتنتشر المزارع على ضفاف الوادي الكبير . ويبدو الريف القرطبى بتموجات أراضية وتكثر الغابات . وبها مغارات . وأطلال وحصون قديمة من العصور الموغلة في القدم .

قرطبة مدينة تاريخية :

تعتبر قرطبة من أقدم المدن الأسبانية حيث كانت مقاطعة رومانية . ثم أصبحت عاصمة اسبانيا المسلمة ومقر بلاط خلفاء المغرب العربى . ابتداء من القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر . وكانت أبان ذلك منارا للثقافة ومهدا للعلوم والفنون عاش في احضانها الإسلام . وقد وصفتها الألمانية هرو سونيا بأنها « زينة الدنيا »!! .

وقرطبة مدينة الفكر والفلاسفة والشعراء حيث ساهم أبناؤها أمثال ابن رشد وابن حزم وابن ميمون في بناء الحضارة الأوروبية . وتلقت أوروبا ثمار الثقافة الاغريقية عن طريق قرطبة . فهى موطن الأمام القرطبي . الشهير ..! وهى مدينة أول تجربة طيران عبر التاريخ حيث تمكن المفكر عباس بن فرناس



عباس بن فرناس ــ وأول محاولة للطيران !

من صنع جناحين وقام بالتحليق في سماء قرطبة « ومن منارة المدينة »! .

وقد وصفها الشاعر العاشق ابن زيدون صاحب قصيدة « أضحى التنائي » في محبوبته ولادة بنت المستكفي وهو ومحبوبته الأميرة ولادة من قرطبة ويصف بن زيدون قرطبة قائلاً:

سقى جنبات القصر صوب الغمائم
وغنى على الأغصان ورق الحمائم
بقرطبة الغراء دار الأكارم
بلاد بها عنَّ الشباب تمائمي

وقد بلغت أوج عظمتها كعاصمة لأمارة عربية في العهد الأموي

« ٧٥٦ ـــ ١٠٣١م » وقد بلغت أقصى ازدهارها « في حكم عبد الرحمن الثالث . ولكنها تدهورت بعد سقوط الأمويين وخضعت لأشبيلية « الموسوعة ص ١٣٧٦ »!!

وينسب إلى قرطبة عدد وافر من أهل العلم والأدب وقد أورد ذكرها ياقوت في معجمه ص ٣٢٤ ج ٤ « قرطبة . مدينة عظيمة في الأندلس . وسط بلادها وكانت سريراً لملكها وقصبتها . وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء . وهي أعظم مدينة بالأندلس وليس لها شبيبة في المغرب » .

الآثار العربية في قرطبة :

فمدينة قرطبة زاخرة بالآثار العربية الرائعة والتي يقع في مقدمتها :

جامع قرطبة

فالمسجد « جامع قرطبة » يعد قطعة فنية لا يوجد لها مثيل من أروع المعالم الأثرية العربية نظراً لدقة تصميمه وروعة بنائه ويتمثل فيه فن عصر الخلافة على ابدع صورة . وتتميز معالم قرطبة بطابعين فنى وشعبي فشوارعها وأبنيتها البيضاء وساحاتها الوادعة يتجسد الفن فيها . في البهو . وفي خرير المياه المتدفقة من النافورات وفي الشرفات المزينة بالازهار وفي كل ركن من أركان هذه المدينة الجميلة فالمسجد أثر فريد في نوعه ويتمثل فيه فن عصر الخلافة وقد بدىء في تشييده في منتصف القرن الثامن الميلادي في عهد عبد الرحمن الأول الملقب بالداخل أو « صقر قريش » وأدخلت عليه عدة تعديلات وتوسيعات في عهدي عبد الرحمن الثاني . والحكم الثاني ثم أكملت عمارته في أواخر القرن العاشر أبان حكم المنصور .

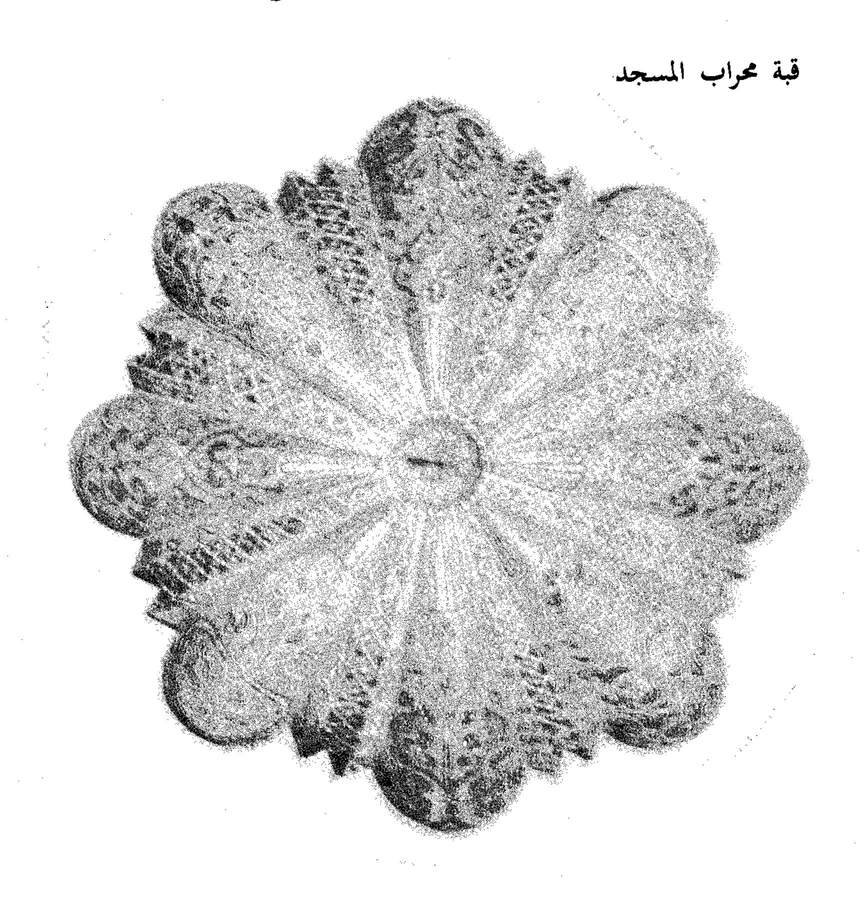
وتقول بعض المصادر والمراجع . أن عبد الرحمن الداخل أتبع في بنائه

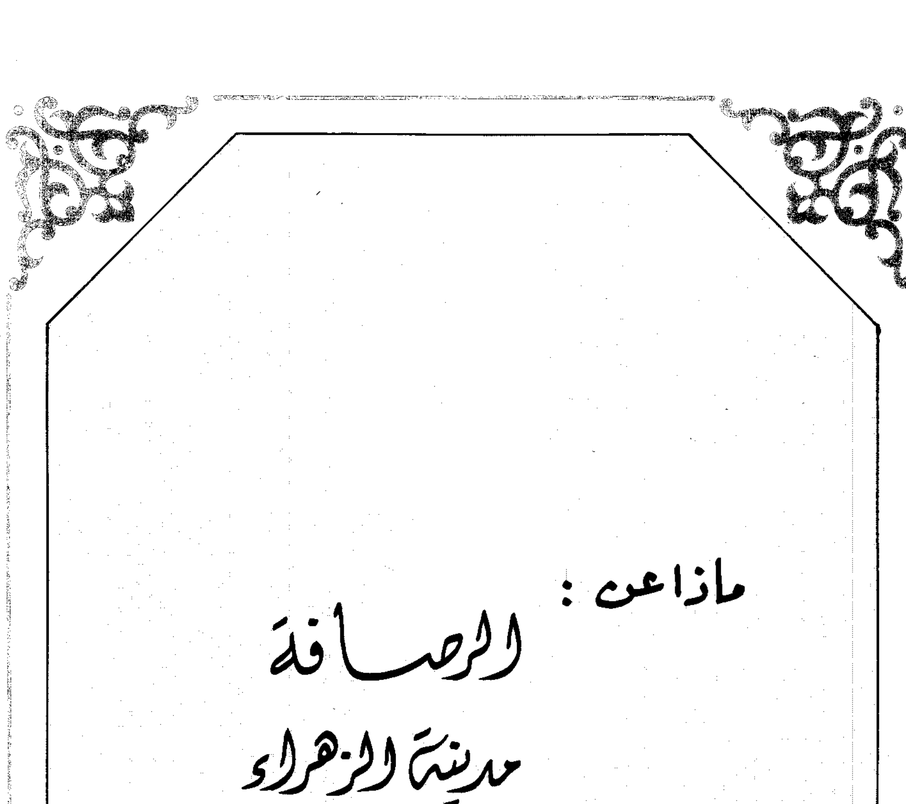
لجامع قرطبه سنة ١٦٨ هـ النظام التخطيطى للمسجد الأقصى . الذى أعاد الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان بناءه

وقد أسفرت الزيادات والتوسيعات التى أجريت في المسجد عن تجميل هذا الأثر وزيادة أبهته . وترى آخر مظاهر التحسين والتجميل في المحراب وقبته الفخمة والخزف الجميل الذى أهداه الامبراطور قسطنطين السابع إلى الخليفة الحكم الثاني . وتحيط بالمسجد نافورات تنطلق منها المياه . بلورية الشكل . مع خرير كأنه نغم موسيقى .! .

كما يقع القصر الأسقفي مقابل الجدار الغربي للمسجد وقد كان قديماً مقر حكام القوط وبعد ذلك صار قصراً للخليفة وقد ادخلت عليه تعديلات هامة . في القرنين الخامس عشر والسابع عشر .

قبة محراب المسجد





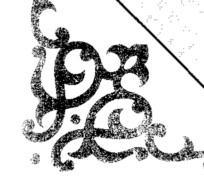
ماذا عن :

الرصافة

مدينة الزهراء

ولادة

وابن زيدون



مدينة الزهـــراء

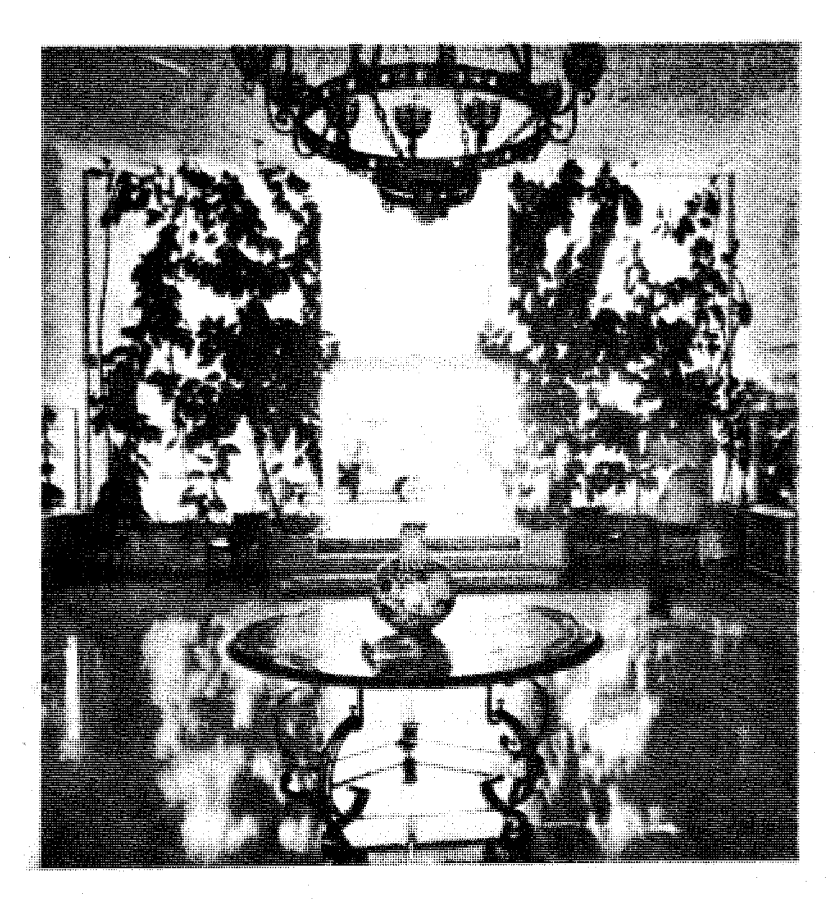
تقع هذه المدينة في ضواحي قرطبة وكانت مقراً للخليفة عبد الرحمن الثالث ومن أعقبوه . وقد شيدت هذه المدينة على ثلاثة مواقع لسفح جبل « سيراموربنا » في القرن العاشر وما زالت بعض آثارها وأطلالها باقية . وفي متحف المقاطعة الأثرى وكذا متحف مدينة الزهراء « القائم بجوار أطلالها » آثار من الخزف والفنون الزخرفية والمعمارية عثر عليها أثناء الحفريات هذا ويجري اعادة بناء أجزاء من المدينة على ضوء الوثائق التاريخية الموجودة وقد تم منها الجزء الخاص بالقاعة . الملكية . أو قاعة الوزراء . وستكتمل إعادة بناء مسجد مدينة الزهراء الذي كشف عن موضعه أخيراً !

رصافة قرطبـة :

شيد الخليفة عبد الرحمن الداخل . منية الرصافة بظاهر قرطبة . على

فنـاء قرطبى





إحدى الاستراحات فى الرصافة

غرار قصر الحير الذي بناه جده هشام بن عبد الملك في الشام . فأجرى الماء لهذه المنية وأحضر لها بعض الأغراس كالدراق والرمان وغرس فيها نخلة جاء بها من دمشق فلما رآها فريدة أنشد قائلا :

تبـدت لنـا وسط الرصـافـة نخـلـة
تنـاءت بأرض الغـرب عن بلد النخـلِ
فقلت شبيهـي في التغـرب والنـوى
وطـول التنـائي عن بني وعن أهــلِي



المسجد وروعة التصميم

الزهراء .. وابن زيدون :

الزهراء المدينة التى اختطها عبد الرحمن الثالث كما أسلفنا . تبعد عن قرطبة حوالى ١٢ كيلًا ولتكون منتزها له وأنفق في عمارتها من الأموال ما تجاوز حد الاسراف وجلب إليها الرخام من أقطار البلاد . ويقال أنه قسم جباية بلاده أثلاثاً . فثلث لجنده وثلث لبيت ماله وثلث لنفقة الزهراء وعمارتها وقد أكثر أهل قرطبة في وصفها وعظم النفقة عليها وقول الشعراء فيها .. ابن زيدون يتشوق إلى زيارة الزهراء فيقول :

ألا هــل إلى الزهراء أوبـة نـازح
تقضَّت ،مبانيـهـا مدامعــه سفحـــاً

ويقول ايضاً وهى تذكره وتثير شجونه . مع وصف لجمال طبيعة الزهراء .

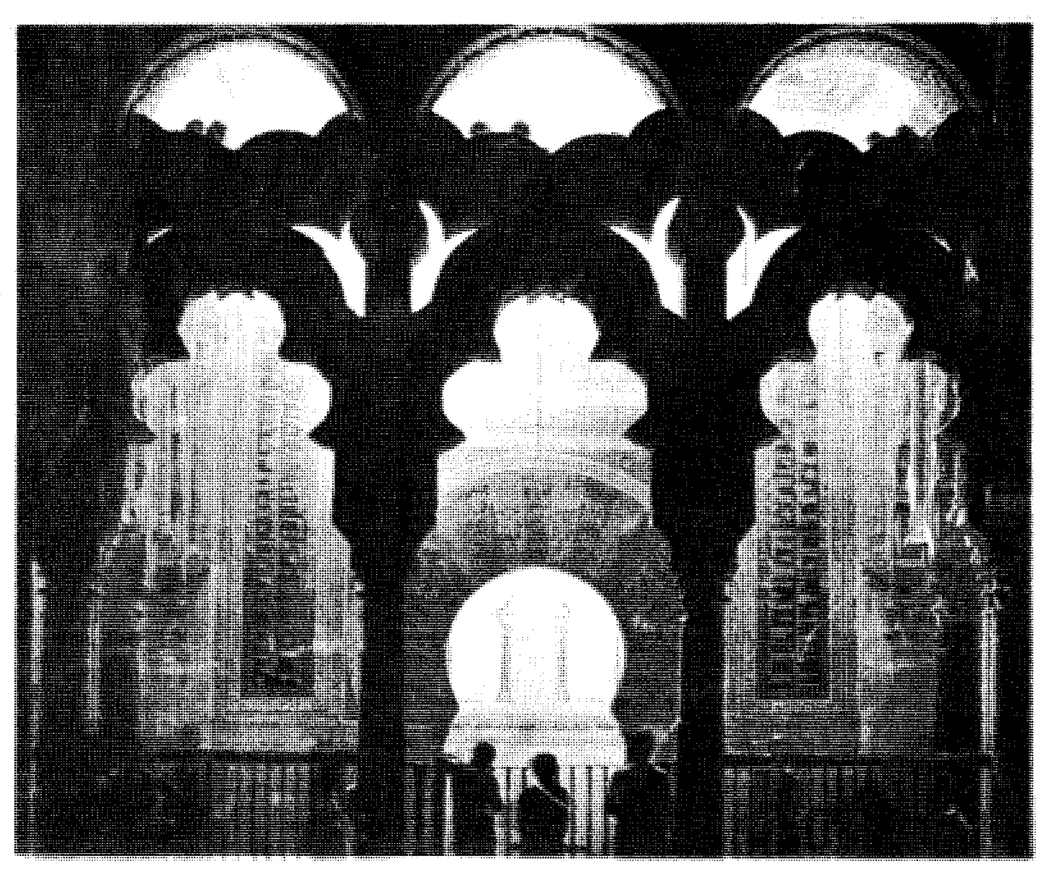
إني ذكـرتك بالزهـــراء مشتاقـــاً
والأفق طلق ووجـه الأرض قـد راقا

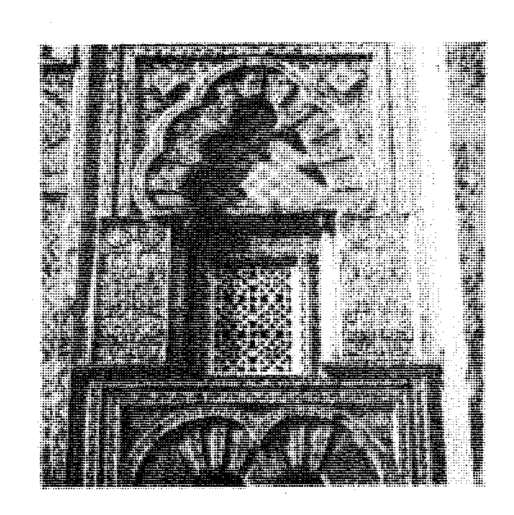
وللنسيـم اعتـــلال في أصـــائلـه
كأنمـــا رقَّ لي فاعتـــل إشفـــاقـا

والروض عـن مـائه الفضـي مبتسـم
كمـــا حللت عـن اللَّبات أطـواقا

يـوم كأيـام لـذَّات لنـا انصرفت
بتنـا لهـا حين نـام الدهـر سـراقا

إحدى واجهات المسجد





مدخـل المسجـد

معالم قرطبة :

توجد في عدة انحاء من مدينة قرطبة بقايا أسوار من العصور الرومانية والإسلامية والمسيحية وقد بقيت منها حتى الآن بوابات .

كما تشكل ابهاء قرطبة أحد الملامح الرئيسية للمدينة وهى على نوعين شعبي وارستقراطي :

فالأول ترى حوائط مطلاة بالكلس تتشابك عليها اغصان . النبات المعرش . وفي وسطه بئر ويمتاز النوع الثاني بتناسق عناصره وشيوع استخدام الرخام في اعمدته . وفي أرضيته مع وجود النافورة في وسطه وتجمع بين النوعين انتشار الأزهار التى تزين القضبان الحديدية ، المزخرفة وكذا الشرفات ويتجلى ذلك في فصل الربيع كما توجد تماثيل لأعلام قرطبة أمثال ابن رشد . وابن حزم وابن ميمون وغيرهم ممن انجبتهم المدينة !.

حارات قرطبة القديمة

إن حارات قرطبة التى شهدت تاريخها العريق ما زالت تحتفظ بروحها ومن أهمها حارة الازهار وحارة أركان الذهب وحارات الأقواس . وأولاد « لارا السبعة » والقمر . والكوميديات . ويبرز فيها الطابع القديم ويعد من أكثر

الأمكنة احتفاظا بالرونق وهناك ساحات يتمثل فيها الطابع التقليدي للمدينة .

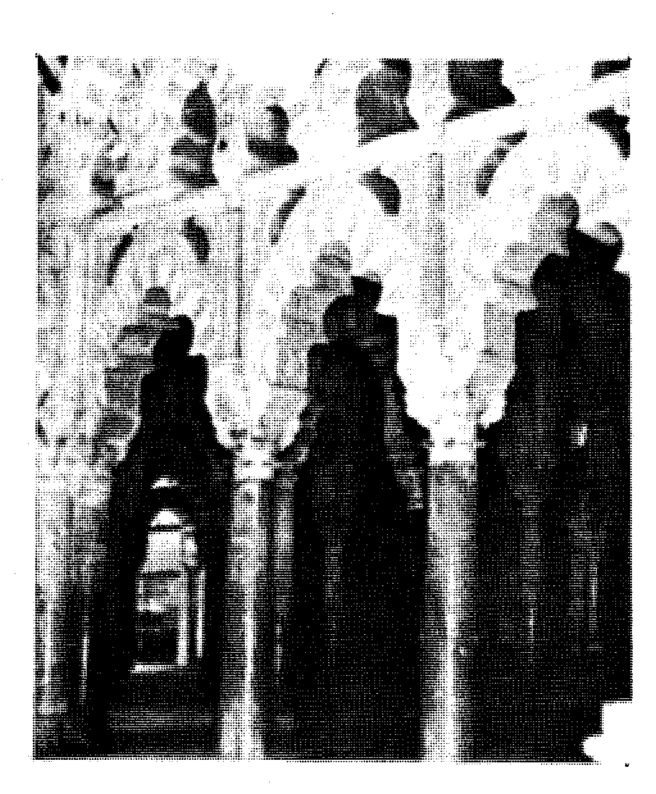
المتاحف

يعد المتحف الأثري للمقاطعة من أكمل متاحف أسبانيا إذ يحتوى على جميع معالم العصور الثقافية التى مرت على قرطبة ابتداء من عصر ما قبل التاريخ ويجمع إلى فن ذلك العصر نماذج قيمة من الفنون الايبيرية والرومانية والقوطية . والعربية وكذلك متحف الرسام القرطبي « خولي » الذي يحتوى على مجموعة هامة من أعماله الفنية . كما توجد في أنحاء مختلفة متاحف تشتمل على بعض الأعمال والرسوم الجميلة التى قام بتخليدها بعض الفنانين الأسبان . من مختلف المدارس الفنية .

أما متحف الفن القرطبي وفن مصارعة الثيران القائم « بدار لاس بولاس » القديمة فيتألف من ثلاثة أقسام الأول مخصص للأعمال الفنية على الجلود والثاني لأعمال الفضة . وقد بلغت فيها قرطبة حظاً كبيراً من الشهرة والثالث مخصص لفن مصارعة الثيران . وتوجد به طائفة من التذكارات المتعلقة بأقطاب الفن ومشاهير المصارعين الذين ولدوا في انحاء قرطبة .

الطرق الجبلية

طريق المنطقة الجبلية بقرطبة يمتاز بجمال طبيعي يثير الاعجاب وكثيراً ما يشاهد الزائر في مختلف انحائها معالم تاريخية هامة . فمن التلال القريبة من المدينة يقع البصر على مناظر طبيعة . رائعة . تلمح في وسطها أمكنة مشهورة مثل صوامع النساك « لاس ايرميتاس » وهو مكان يتردد عليه الناس منذ عهود قديمة للزيارة والتأمل والتدبر وكذلك اطلال مدينة الزهراء . ويتمثل فيها ما بلغه العصر العربي من عظمة وبهاء كما يبدو الطراز المعماري مع



جـانب من المسجد

ذكريات تقترن بتاريخ قرطبة . وحصن المدور . وهو حصن رائع المنظر له تاريخ حافل يقوم عند موقع استراتيجي هام ويعد احسن نموذج لحصون الأندلس المقامة على الصخور!!.

المهرجانات والأعياد الفلكلورية

تعقد أهم الأعياد القرطبية في أوقات محددة فيحتفل بعيد «أبهاء قرطبة » وهو أهم اعيادها المحلية ويعد فريداً من نوعه في العالم كما تعقد سوقها الشهيرة في هذا العيد وتتعاقب الأعياد وتعقد المهرجانات ويشترك في احيائها أهالي جميع القرى الواقعة في المنطقة .

ويأتى الفن الفلامنكي في مقدمة الفنون الشعبية القرطبية وهو فن تقليدي سائد في قرى الريف . وتعقد بمدينة قرطبة منذ عام ١٩٥٦ م مباريات قومية لهذا الفن . الذى يتجلى بمظاهره وألوانه المختلفة من الغناء والرقص والعزف على القيثارة إذ يؤلف هذا الفن جزءاً هاماً من برامجها

ويساهم فيما لها من بهجة خاصة وعلى الطريق بين قرطبة وغرناطة يلتقي المسافر بلدة « سبيخو » وبها حصن بديع الشكل . وعلى مقربة من الطريق يوجد « كهف الوطواط » وبه بعض الرسوم البدائية وأشكال طبيعية غريبة ناشئة عن الرواسب الكلسية المتدلاة من سقوف المغاور . وقرطبة تشتهر بمعالمها الباروكية الطراز ولها قيمة فنية خاصة !. كما يوجد بها حي قديم أسباني . عربي وشوارع وساحات جميلة . بها نافورات للمياه وعدد من دور الأعيان كل ذلك يضفي على المدينة طابعاً من الفخامة..!

كما تشتهر قرطبة بصناعة الفضة المزخرفة والجلود المنقوشة . وهى حرف قديمة جداً بالاضافة إلى صناعة النحاس والصفر كما تشتهر بصناعة الأثاث الذي يصنع من خشب أشجار الزيتون.!!



منظر داخلي لمسجد قرطبة



الزهور متعددة الألوان تزين الفناء كمظهر قرطبى !

أحمد رامى .. فى قصر ولادة :

شاعر الشباب الراحل .. أحمد رامي أو شاعر الحب بمشاعره العاطفية . وأحاسيسه الوجدانية . يصور حواراً تجري ادواره في قصر ولاده بنت المستكفي وأطراف الحوار . ابن زيدون . ولادة . ابن عبدوس . ابن برد في قرطبة على أيام ابن جمهور ..!!

« غناء خافت ينبعث من مقصورة موقعاً على العود والشعر لابن زيدون » ولادة تغنى :

يا نائياً وضمير القلب مثواه
أنستْك دنياك عبداً أنت دنياه
ألهتك عنه فكاهات تلذُّ بها
فليس يجرى ببال منك ذكراه

علّ الليالى تبقيني إلى أمل

الدهر يعلم والأيام معناه

« ابن زيدون لصديقه ابن برد وهما يدخلان القاعة » :

أتسمعها تغني من نسيبي

وما عرفت هواي ولا حبيبي

نظمتُ الشعر من دمعي وغنَّت

به شكوى الغريب إلى الغريب

ابن برد :

تقدم فالهوى يدعو إليه

قلوب العاشقين على البعاد

هَشَشتْ إلى زيارتها وحنَّت

إلى اللُّقيا اتسمعها تنادي

« ابن زيدون »!

أخاف لقاءها وأودُّ أنِّى

أظلُّ المستهام على التنائي

سمعت غناءها فإذا بكائي

من الدنيا تردَّدَ فى الغناءِ

وجدت لصوتها فى النفس شجْواً

يُرفِّه من تباريح الشقاءِ

وأخشـــى أن يخـامــرنى هواهـــــا
وألقـــــى فى محبتهـــا عـــــزائى

فأصبــح لا تطيبُ لى الليـــالى
بغيـــر القـــرب منهـــا واللقـــاءِ

يدخـلان ..
ولادة : يا مرحباً بأخي الغزل..!
ابن زيدون : اهلا بحادية الأمل ..!
يطول الحوار ونقتطف منه ...
ولادة مخاطبة ابن زيدون : هل عشقت قديما ؟
ابن زيدون : وكان عشقا أليما . ويسألها وأنتِ هل ذُقت عشقا .
ولادة .. ألست أملك قلباً ؟
ابن زيدون : كيف مرَّت على هـواك القلوب .. ؟
ولادة .. قد تحيَّرت من يكون الحبيب .

ابن برد :

لقـــد كـــان يخشـــى لقـــاك
ويُشْفـــقُ مـــن ان يـــــراك

ولادة .. وماذا يخـاف الدَّعيُّ ؟
ابن بر د : يخـاف الرَّدى فى هواك .
ولادة :

لا تصـدق مـا يقــول الشعــراء
فالـذى قالـوه فى الحـب هبـــاء

كلمـــا استهواهـــم حسنٌ مضـــوا
يُرســلون الشعــر فيـــه والغنـــاء
لا يقـــــــرون عـلى حــب ولا
يستطيعــون عـلى حـــال بقـــاء
حبهـــم وقـــف عـلى أنفسهـــم
وهـــوى النـــاس التفـــانى والعـــزاء

ابن زيدون : ما الذى تعنين ؟
ولادة :
أعنى أنكم كفراش الليل تهوون الضياء فإذا ما مسَّكم من ناره لَهَبُ الوجدِ خلوتم للبكاء .
ابن زيدون : نحن نبكي
ولادة :
انتُمْ علمتمُ اعين الناس البكاء .
ويطول الحوار فتتقارب القلوب .. وتتلاقى العواطف وولادة تبحث عن القلب الأمين الحنون ..!
ولادة :
ولكـنـي أبــثُ شكـــاة قـــلبــي
إلى قـــلب عـلى ودِّي أميـــن
وأوثِـرُ فـى الغـرام نَجِـيَّ نفســي
ومــؤنس خاطــري وهــوى فنــوني
فيشير ابن زيدون أنه الصب المستهام الجدير بحبها

ابن زيدون :

وهـــل تجـدين صَبًّـــا مستهــامـاً
يُحبــك للهـــوى والشعـــر دونـــي

والحوار الذى صوره رامي طويل .. وعلى شكل فصول .. ويمكن لمن يرغبَ الرجوع إليه ان يجده في ديوانه ..!

أندلسية .. شوق :

وأحمد شوقى فى منفاه باسبانيا يحن إلى الوطن ويصف كثيراً من مشاهداته ويتشوق إلى وطنه في هذه القصيدة الأندلسية .. والتى نختار بعض أبيات منها .. نظراً لطولها فهى تزيد عن الثمانين بيتاً .

يـا نائـح الطـلع أشبـــاه عوادينـــا
نَشْجِـى لواديـك أم نأســـى لوادينـــا

مـاذا تقُصُّ علينــا غيــر أن يــداً
قصَّت جنــاحك جــالت فى حواشينـــا

رمـى بنـا البيـنُ أيـــكاً غيــر سامــرنا
أخــا الغــريب وظـلًّا غيــر نادينــا

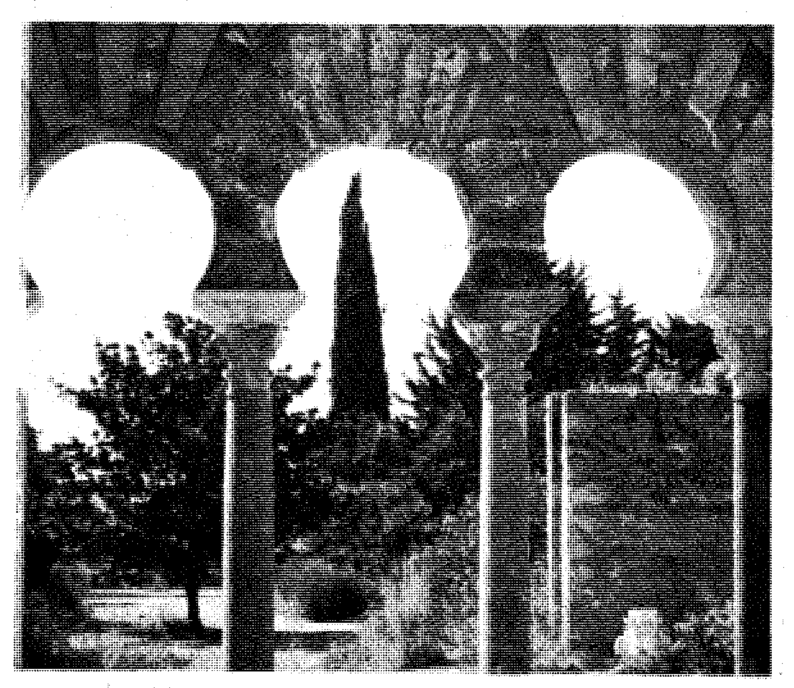
كـــلٌّ رمتـــه النَّـــوى ريش الفـــراق لنـــا
سهمـــاً وســل عليـك البين سِكِّينـــا

إذا دعـــا الشـــوق لـم نبـــرح بمنصـــدع
مـن الجنـــاحين عـــيٍّ لا يُلَبِّينـــا

فـإن يكُ الجنس يـــا ابن الطلـــح فرقنـا
إن المصـــائب يجمعـــن المصابينـــا

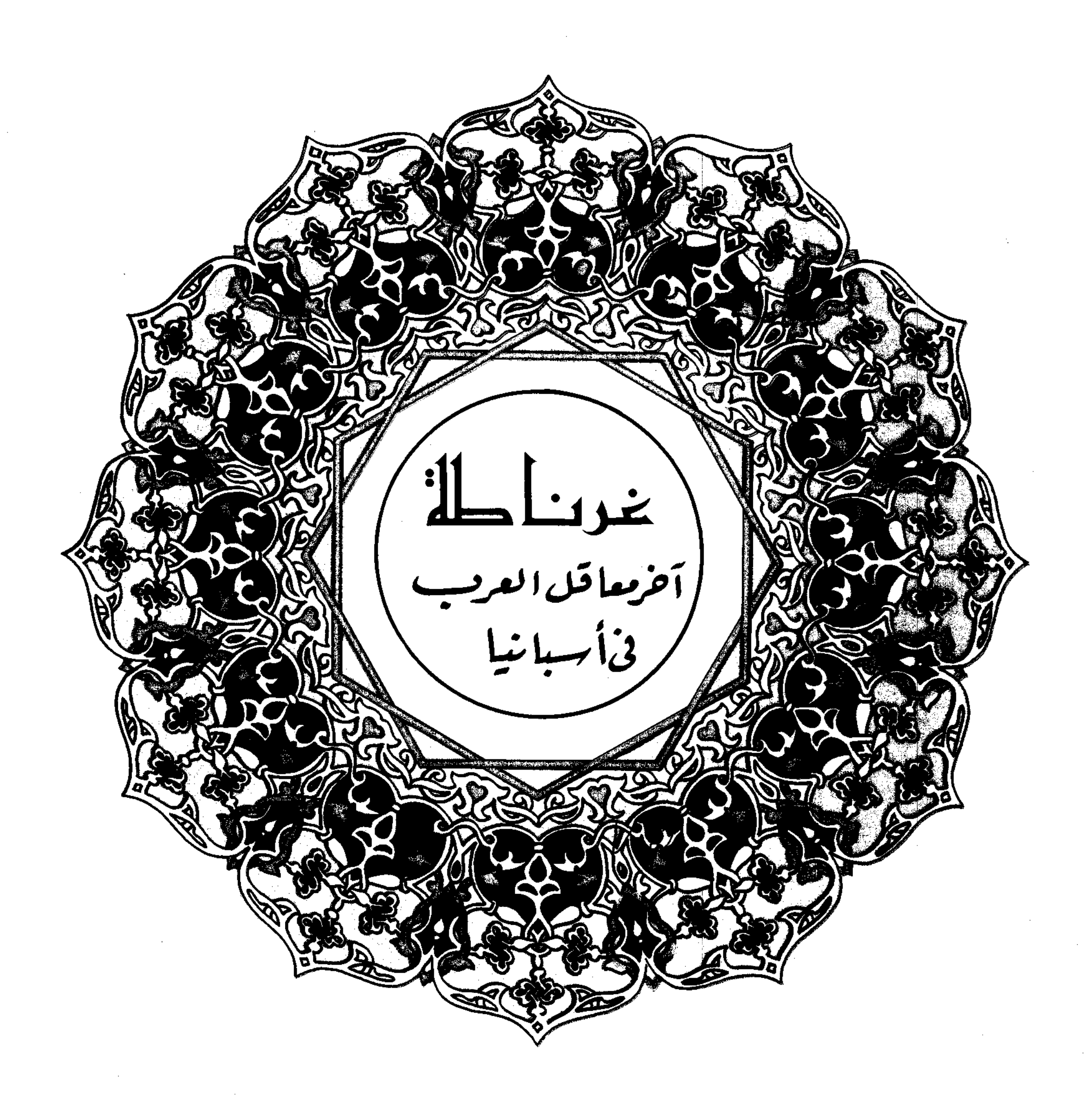


النخلة الشجرة التى جليها
عبد الرحمن الداخل كشجرة غريبة !



مدينة الزهراء تقع فى ضواحى قرطبة



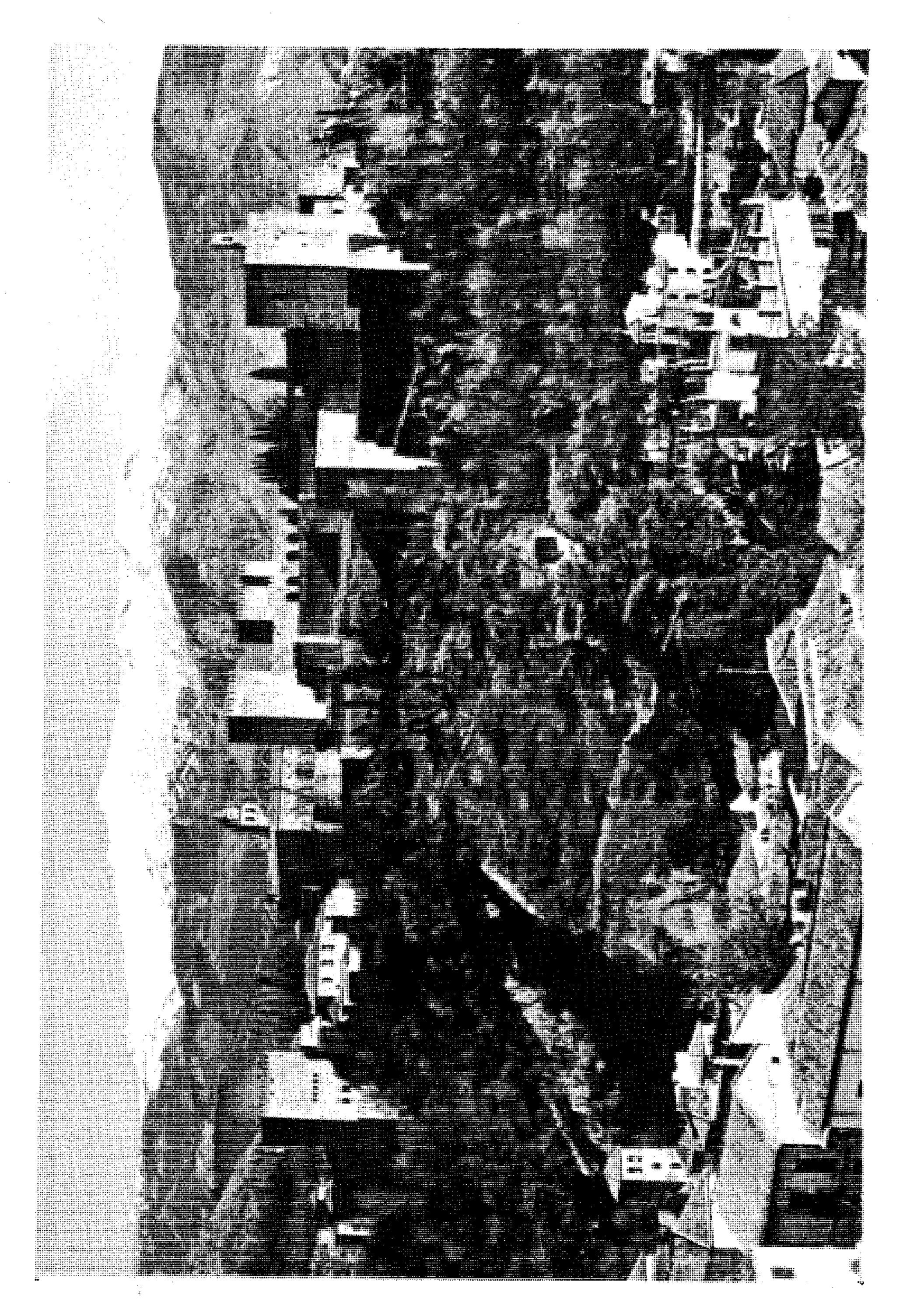

غرناطة
آخر معاقل العرب
فى أسبانيا



عندما قالت عائشة الاندلسية
" احمل قلشيك كالنساء " ؟ !

اللحظات الحرجة والمنظر المؤثر
اثناء تسليم مفاتيح الحمراء ؟ !





قصر الحمراء أهم الآثار العربية



غـــرناطة

يأتي موقع مقاطعة غرناطة محتلاً مكانا .
استراتيجيا حيث يمتد من قمم جبال (سييرا نيفادا) (جبل شيلر) حتى شواطىء كوستاديل سول على البحر الأبيض المتوسط في قطاعه الأندلسي . وقد جعل لها هذا الوضع الجغرافي مركز الصدارة في المجال السياحي بمنطقة الأندلس الشرقية . كما تتميز أراضي المقاطعة بتنوع ملحوظ في طبيعتها الجغرافية إلى جانب ما تتسم به من جمال شعري الوصف حقيقي الوجود !

وجدير بالذكر أن الخط البياني لدرجات الحرارة على مدار السنة . يسجل ١٥ درجة في المتوسط مع انخفاض بين الحد الأدنى للبرودة في الشتاء وارتفاع الحد الأقصى للحرارة في فصل الصيف . ومن الطريف في هذا الصدد أن غرناطة بظروفها المناخية تتيح للزائر امكانية الانزلاق على الثلج في سييرا نيفادا مع السباحة في مياه البحر الأبيض المتوسط الدافئة في غضون ساعات قليلة .

وغرناطة مدينة فريدة الطابع تحتضنها مناظر طبيعية جميلة . المناخ فيها جاف معتدل والهواء نقي عليل مع سماء صافية الأديم يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر ما بين ٦٦٢ و ٧٨٠ متراً وتبعد عن الساحل بمسافة ٧٠ كيلو متر وعن مدريد ٤٣٢ كم وعن مالقه ١٣٠كيلو متر .

يمكن القول ان غرناطة مع كونها وليدة الثقافة والحضارة العربية في أسبانيا فقد كان أثرها في تلك الثقافة بعيد المدى ذلك أن لغرناطة قوة سحرية ووحياً لا يجارى . فالعربي الذى جاء إليها من البادية اكتسب فيها دماثة الخلق ورقة الاحساس . وعند دخول الكاثوليك إليها وجدوا فيها شعبا

مرهف الحس مهذب الشعور محبا للفنون أسرته الطبيعة بوحي جمالها .. تستشف في غرناطة ملامح نصفها عربية والنصف الآخر مسيحي . ومن هضبة الحمراء يشرف الزائر على جبال (سييرا نيفادا) المغطاة بالثلوج الدائمة الناصعة البياض . وكذا على مروج خضراء تمتد حتى مياه البحر الأبيض المتوسط . بفاصل من قطاع ساحلي مزروع بنباتات المناطق الأستوائية !

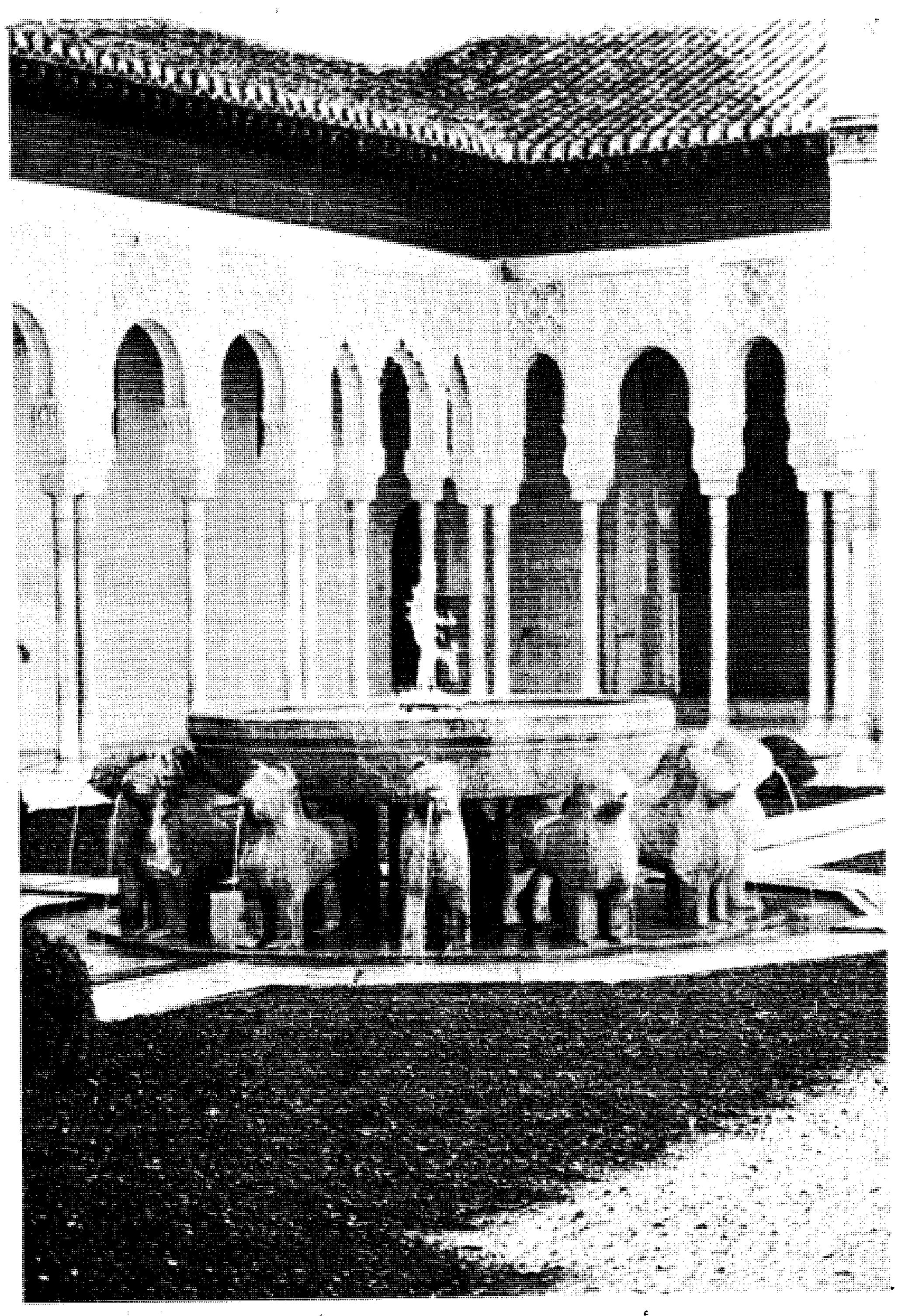
ومن هضبة أخرى يطل الزائر على هضبة البيازين التى يفصلها عن الحمراء نهر دارو (حدره) وهو نهر يجري منحدراً من علٍ . يتجمع هذا الحى في دور صغيرة وحارات ضيقة ويبرز للعيان طابعه الغرناطي الأصيل كل بيت له جنة عريف صغيرة . وحديقة بأزهارها ونافوراتها وبهو صغير يطل منه على الجبل والحمراء والمرج .

والزائر لغرناطة يجد من نفسه وحسه خير دليل يرشده عن مواطن السحر والجمال في المدينة . وما بها من حدائق غناء . فأى طريق يسير فيه ينتهى به إلى بهو حيث يطرق سمعه خرير مياه النافورة . أو إلى برج حيث تترامى إليه اصداء الأصوات المنبعثة من البيازين والرنين الخافت لأجراس الأديرة .

والحقيقة أن الزائر لغرناطة لا يسعه إلا التوقف هنا وهناك ليرى بعينه ويحس بأعماق نفسه!! .

لقد أحب العرب مدينة غرناطة وتفاخروا كثيراً بها ويذكر المغربى في تاريخه (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) أن أحدهم قابل شنيل (نهر المدينة بألف نيل) فقال :

وما مصر تفخر بنيلها
وألف منه في شنيلها



الأسود فى البهو ــ والمياه تتدفق من أفواهها

معالم غرناطة

تتواجد أكثر الآثار والمعالم العربية في غرناطة والتى لا زالت بارزة تمثل حضارة العرب وتاريخهم من تلك الآثار ..

الحمراء .. القصر العربى .. جنة العريف .. القصبة وقد سبق أن قدمنا استطلاعا مفصلا نشر فى أول الكتاب .

حي البيازين

من أكبر أحياء غرناطة . وما يزال إلى اليوم يحتفظ بطابعه الأندلسي ويقع شمال شرقي غرناطة تجاه هضبة الحمراء ويفصلها عنه نهر حدرة !

سييرا نيفادا

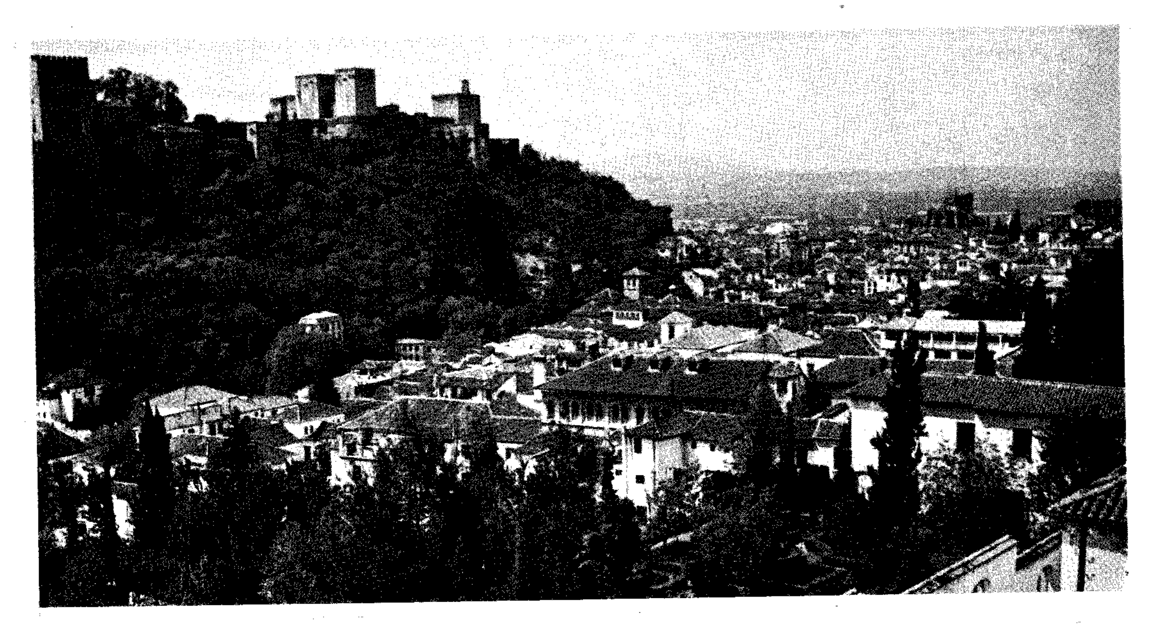
من مميزات مواقع الرياضة الشتوية في «سييرا نيفادا» بقاء الثلج فيها طوال العام وسهولة الوصول إلى ساحات الانزلاق في أى فصل من فصول السنة . ففى هذه المنطقة مرافق سياحية جيدة ومركز سياحى يسمى (سول أى نبيبي) أى الشمس والثلج وتبعد هذه المنطقة عن غرناطة ٣٥ كم .

الأعياد والمهرجانات

تشتهر غرناطة بأعيادها الشعبية وخاصة احتفالات «كوربوس كريستى» تسير فيها مواكب دينية . وتقترن بها مهرجانات شعبية . ومصارعات للثيران وفي شهر مايو يحتفى بعيد القرنفل . وفى أواخر شهر يونية يحتفل بالمهرجان الدولى للموسيقى والرقص وهو من أهم المهرجانات الأوروبية !

الصيد البرى والبحرى

يمكن القول أنه يوجد في غرناطة جميع خصائص الطيور التى تعيش



قصر الحمراء .. يطل على مدينة غرناطة

في شبه الجزيرة الايبيرية وعلى الخصوص الحجل ومختلف أنواع الحمام والسمان وغيرها ويجد هواة صيد الحيوانات منطقة تتمتع فيها الماعز الأسبانية بحماية وذلك نظراً لندرة فصائلها ومنزلتها المفضلة في مجال الصيد وتوجد الأسماك النهرية في حوالى اثني عشر نهرا يصاد فيها على الخصوص سمك الثروة وله عند الصيادين اعتبار خاص أما الصيد البحرى فيمكن ممارسته على طول ساحل الشمس (كوستادل سول) حيث تتكاثر الأسماك ولا سيما سمك البورى !!

لمحة تاريخية

ذكر ياقوت الحموى في معجمه ص ١٩٥ غرناطة .. فقال :

غرناطة بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون . معنى غرناطة رمانة بلسان عجم الاندلس سمي البلد لحسنه بذلك .

قال الأنصاري (وهى أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ويعرف

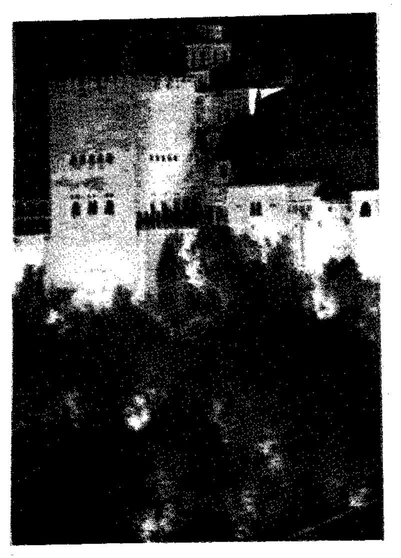
الآن بنهر حداره يلقط منه سحاله الذهب الخالص وعليه أرجاء كثيرة في داخل المدينة . وقد اقتطع منه ساقية كبيرة تخترق نصف المدينة . فتعم حماماتها وسقاياتها وكثيراً من دور الكبراء . وله نهر آخر يقال له سنجل واقتطع لها منه ساقية أخرى تخترق النصف الآخر فتعمه مع كثير من الأرباض !

وفي الموسوعة العربية ص ١٢٥٤ ورد ذكرها بما نصه : غرناطة مدينة : عاصمة ولاية غرناطة . بأسبانيا بالأندلس . موقعها رائع المنظر على مرآى من جبال (سييرا نيفادا) أصبحت عاصمة مملكة غرناطة آخر معاقل العرب في اسبانيا .. ازدهرت مركزاً .. للفن والثقافة الإسلامية :

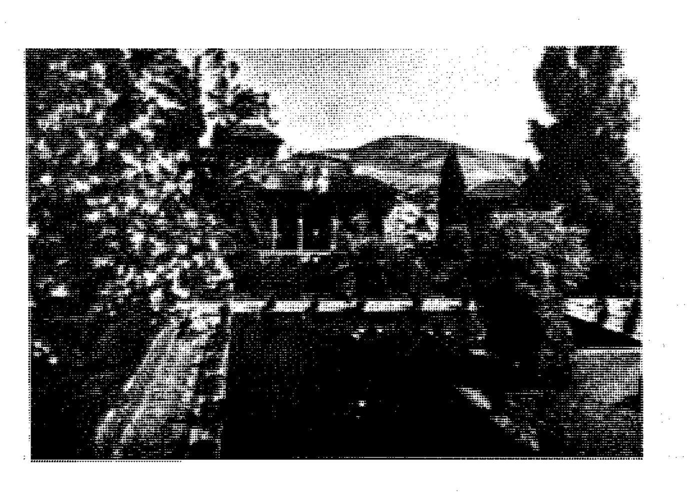
مزقتها أمداً طويلا الفتن والمشاحنات بين أسرها النبيلة . فسقطت المملكة فريسة سهلة في يد فرديناند وايزابلا ملكي قشتالة ! وسقطت غرناطة نفسها سنة ١٤٩٢ م بعد حصار طويل . وقصر الحمراء وهو حصنها العربي هو أهم آثارها الخالدة . وأشهرها . ويطل على المدينة . وعلى مقربة منه شيد الامبراطور شارل الخامس قصراً منيفا وبجواره (كاتدرائية القرن ١٦) بنيت على الطراز القوطي ألحقت بها كنيسة ملكية صغيرة تضم قبرى فرديناندو وايزابلا !!

العهود التي مرت بالاندلس

استقر حكم العرب في شبه الجزيرة الايبيرية ٨ قرون كما تقول المصادر التاريخية . منذ فتحها بقيادة طارق بن زياد بأمر مولاه موسى بن نصير عام ٩٢ هـ ٧١١ م حتى سقوط غرناطة عام ٨٩٧ هـ — ١٤٩٢ م ومرت الأندلس في هذه القرون بعدة عهود وتقلبت خلالها بين الضعف والقوة والنصر والهزيمة .



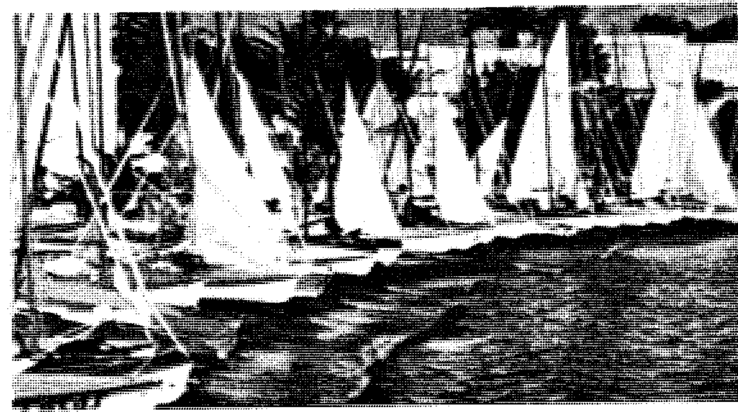
القصبـــة



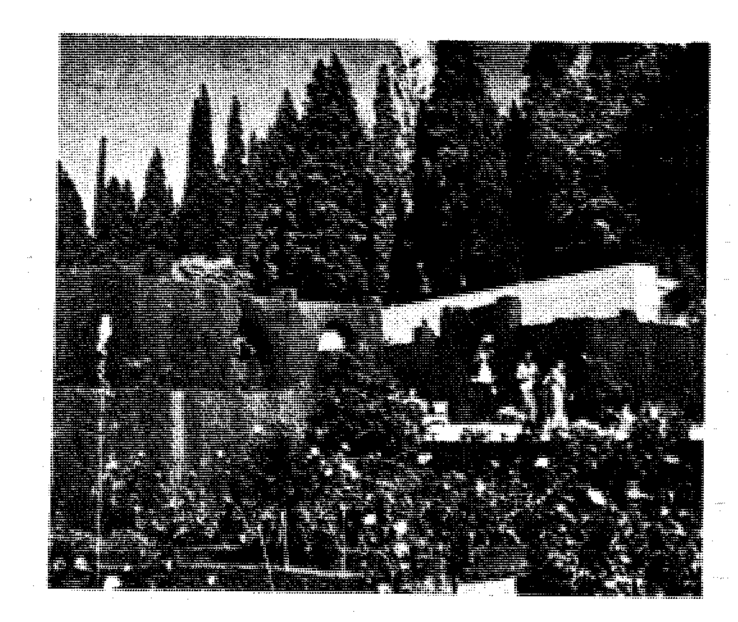
جنة الخليفة

سقوط غرناطة

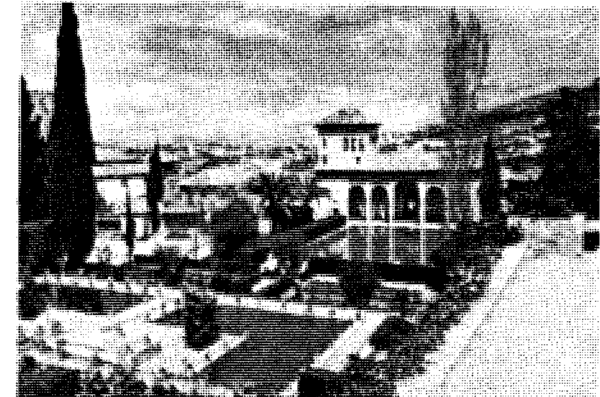
كثرت الفتن وبدأ التمزق في الأندلس .. وانتشرت الممالك .. وكثر التدخل في الحكم ونشأت الخلافات بين تلك الدويلات حتى ضعفت . واستغل اعداء الإسلام هذه الفتن وهذه الخلافات التى دبت بينهم . واستغلوها بالهجمات والحملات وبدأ الاستيلاء عليها واحدة بعد أخرى . نتيجة انشغال الحكام باللهو والملذات وانصرافهم عن تدبير أمور الحكم وتذكر كتب التاريخ العديد من الروايات والقصص والأدلة والعوامل التى أدت إلى تقلص الوجود الإسلامى بالأندلس وسقوط دويلاته واحدة تلو أخرى .

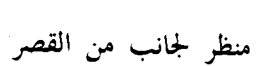


المراكب تسترخى على الشاطىء



جنة العريف



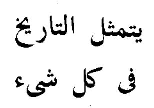


منظر لجانب من القصر

الخضرة تمتد ــ وتكاد تغطى مساحة الأندلس



بهو الأسود



يتمثل التاريخ
فى كل شىء



آخر ملوك الاندلس

يعتبر أبو عبد الله محمد سلطان غرناطة آخر ملوك الأندلس . حيث جلس على العرش مكان أبيه في أواخر ٨٨٧ هـ واطاعته غرناطة بعد فرار أبيه إلى مالقه وكان للأميرة عائشة والدة أبي عبد الله دور نضالي كبير في تثبيت ابنها على العرش بعد سلسلة من الخلافات على العرش . أدى إلى فرار زوجها السلطان أبو الحسن والد ابنها أبي عبد الله آخر ملوك الأندلس . وقد حدثت في عهده سلسلة من الفتن والمعارك والحروب لا يتسع المجال لسردها أو التطرق إلى تفاصيلها . لأن هناك كتباً مؤلفة عن تاريخ الأندلس . وسقوط غرناطة يصعب استخلاص نبذة في مثل هذا الحيز . لكنني سأكتفي بذكر موجز الموجز وملخص عن سقوط آخر معقل للعرب في أسبانيا . كختام لحكم دام ثمانية قرون !!

فلقد أخذت الممالك تتساقط الواحدة تلو الأخرى وأخذ الزحف يقترب من غرناطة . كأمنع حصون العرب بحكم موقعها وظروفها فمن الشرق تحميها أكام جبل شلير (نيفادا) الشامخة ومن الجنوب تحميها أسوار وأبراج في منتهى الكثافة والمناعة .. وكانت غرناطة تموج يومئذ بالوافدين إليها من مختلف القواعد الإسلامية . وتضم بين أسوارها من السكان أكثر من أربعمائة ألف نسمة .

وبدأ حصار غرناطة وصمدت وقتاً طويلا حتى إذا اعياها الصمود ولم تستطع الاستمرار أو الدفاع ولا تأمل الغوث والامداد . ونزولا عند رغبة السواد الأعظم من الشعب .. الذى لم يعد يصبر على هذا الأمر الفادح استسلمت بعد هدنة .. وبعد اتفاقية ومعاهدة للتسليم وتعهد من عدة بنود يحمي حقوق المسلمين ويحترم مشاعرهم وآثارهم وهى الوثيقة الشهيرة التى قررت مصير آخر القواعد الأندلسية ومصير الأمة الأندلسية وقد بلغت



بهو الساقية
فى قصر الحمراء

شروطها ٥٦ مادة يتعهد الملكين الكاثوليكيين فرناندو وايسابيلا بتنفيذ موادها وقد وقعت هذه الوثيقة منهما . وكان ذلك يوافق ٢٥ نوفمبر ١٤٩١ م (١ محرم ٨٩٧ هـ) وهذه الاتفاقية لا زال الأصل محفوظا بدار المحفوظات في « سيما نقا » .

مراسم التسليم

ما كادت أنباء الموافقة على عهد التسليم تذاع حتى عم الحزن في ربوع غرناطة .. واستمر الشعب في وجومه وتوجسه ويأسه ولم تهدأ الخواطر المضطرمة .

وكان قد اتفق بين أبي عبد الله والملك فرناندو أن تطلق من الحمراء

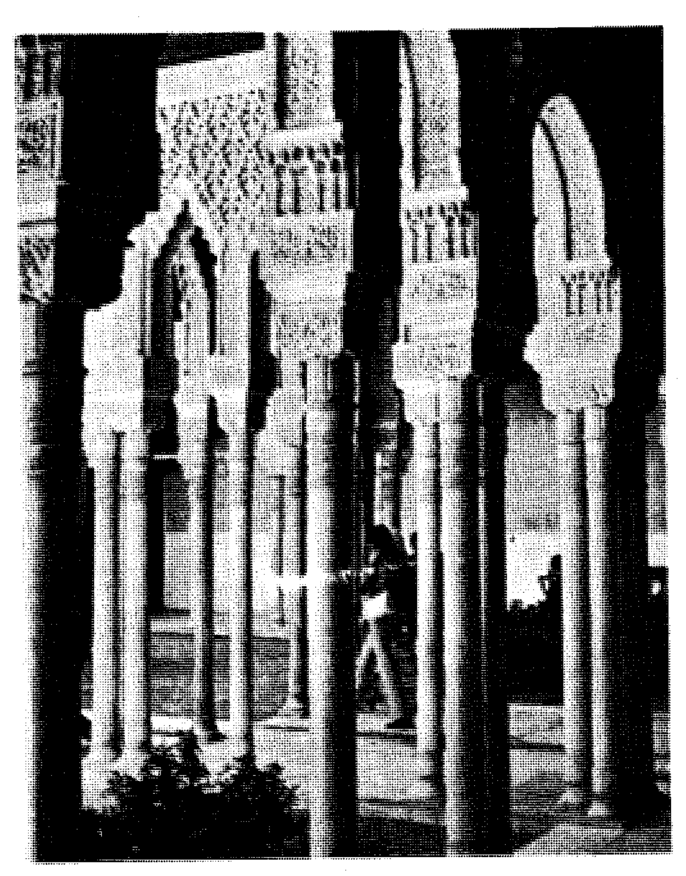
ثلاثة مدافع تكون ايذانا بالاستعداد للتسليم وكان المعسكر النصراني يموج بالضجيج والابتهاج ووصل الجند وكانت أبواب الحمراء قد فتحت وأخليت أبهاؤها استعداداً للساعة الحاسمة .

الساعة الحاسمة والموكب الحزين

في فجر اليوم الثانى من يناير .. وهو اليوم الذى حدد لتسليم الحمراء .. كان رنين البكاء يتردد في غرف قصر الحمراء وإبهائه وكانت الحاشية منهمكة في حزم أمتعة الملك المخلوع وآله . وقد ساد الوجوم كل محيا .. واحتبست الزفرات في الصدور وما كادت تباشير الصبح تبدو حتى غادر القصر ركب قاتم مؤثر هو ركب الملك المنفي يحمل أمواله وأمتعته ومن ورائه أهله وصحبه القلائل وحوله كوكبة من الفرسان المخلصين .. وكانت أمه الأميرة عائشة تمتطي صهوة جوادها يشع الحزن من محياها الوقور وكان باقي السيدات من آله وحشمه يرسلن الزفرات العميقة والدموع السخينة واخترق الركب غرناطة . وحين بلغ الباب الذى سيغادر منه المدينة إلى الأبد ضج الحراس بالبكاء لرؤية ذلك المنظر المؤلم .

تسليم مفاتيح المدينة

اتجه أبو عبد الله يتجرع كأسه حتى الثمالة .. وكان قد تقرر اللقاء في صباح ذلك اليوم . فخرج من باب مدينة الحمراء المسمى باب الطباق السبع في طريقه إلى لقاء عدوه الظافر وسيده الجديد في نفر من الخاصة . فاستقبله فرناندو بترحاب وحفاوة . في محلته على ضفة نهر شنيل وتصف لنا الرواية القشتالية فتقول (ان أبا عبد الله حين لمح فرناندو هم بترك جواده ولكن فرناندو بادر بمنعه وعانقه بعطف ومودة فقبل أبو عبد الله ذراعه اليمنى إيماءة بالخضوع ثم قدم له مفتاحي البابين الرئيسيين للحمراء قائلا : (أنهما مفتاحي هذه الجنة وهما الأثر الأخير لدولة المسلمين في أسبانيا . وقد



هكذا غادروهـا ؟ !

اصبحت أيها الملك سيد تراثنا وديارنا وأشخاصنا وهكذا قضى الله فكن في ظفرك رحيما عادلا)! .

فرد عليه فرناندو بعد أن تناول المفتاحين قائلا : (لا تشك في وعودنا ولا تعوزنك الثقة خلال المحنة وسوف تعوض لك صداقتنا ما سلبه القدر منك)!!

زفرة العربي الأخيرة

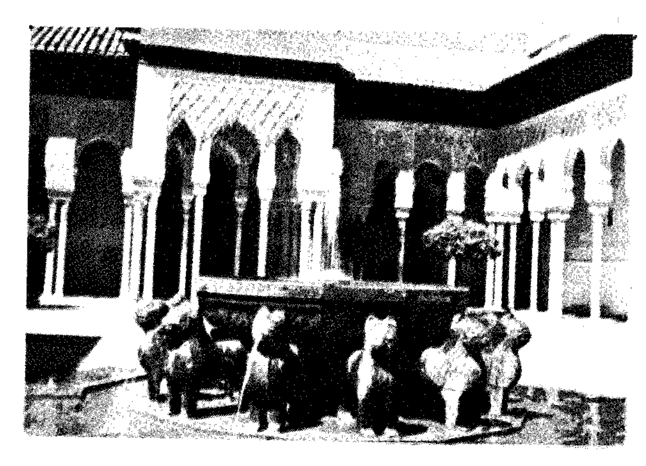
وهناك رواية تقول : (ان أبا عبد الله أشرف أثناء مسيره في شعب تل البذول (بادول) على منظر غرناطة فوقف يسرح بصره لآخر مرة في هاتيك الربوع العزيزة التى ترعرع فيها . وشهدت مواطن عزه وسلطانه فانهمر في الحال دمعه وأجهش بالبكاء فصاحت به أمـه الأميرة عائشة

(أجل فلتبك كالنساء .. ملكا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال)!!

وتعرف الرواية الأسبانية تلك الاكمة التى كانت مسرحاً لذلك المنظر المحزن باسم شعري مؤثر هو (زفرة العربي الأخيرة)!!

وما تزال قائمة معروفة حتى اليوم يعينها سكان تلك المنطقة للسائح المتجول ..

ثم تقول الرواية أيضاً .. أن باب الحمراء الذى خرج منه أبو عبد الله لآخر مرة وهو باب الطباق السبع قد سُدَ عقب خروجه برجاء منه إلى ملك قشتاله ويبني مكانه حتى لا يجوزه من بعده انسان وهو يقع في طرف الهضبة في الجنوب الشرقي منها على مقربة من برج الماء .



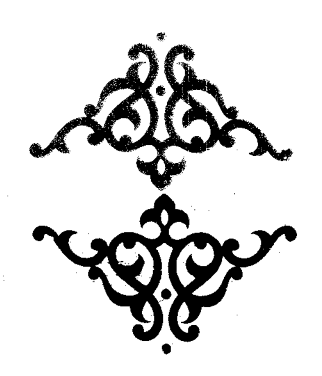
الآثار شاهدة
على عظمة الأيام !

وسار بأهله وأمتعته إلى (أندرش) التى اختارها أبو عبد الله مستقراً ومقاماً .. وهكذا اختتمت المأساة الأندلسية .. وسقطت غرناطة آخر الحواضر الإسلامية في أسبانيا وخفق علم النصرانية ظافراً فوق صرح الإسلام المغلوب وانتهت بذلك دولة الإسلام بالأندلس .. وطويت بذلك تلك الصفحة المجيدة المؤثرة في تاريخ الإسلام !!

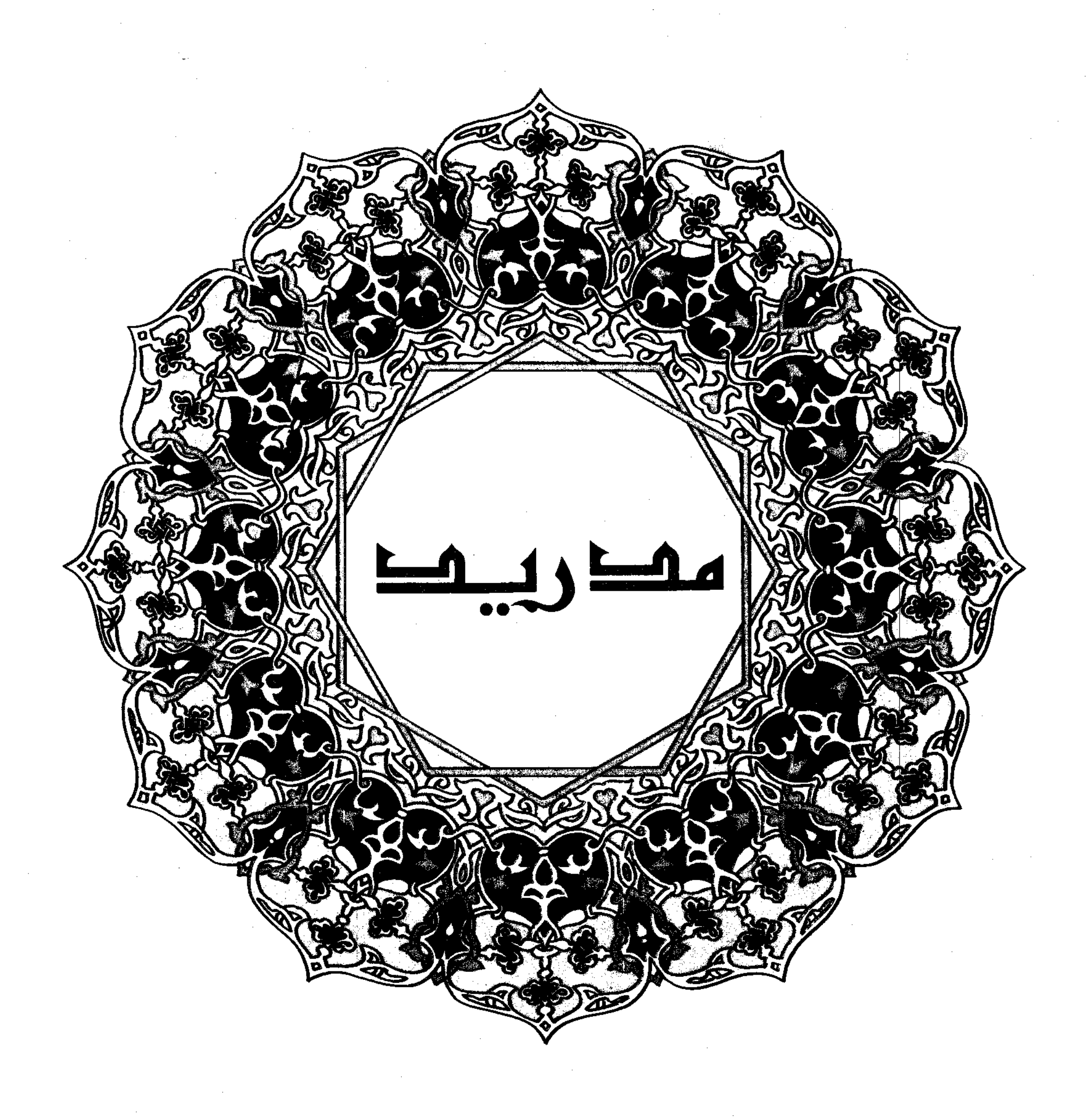
وقد كان أثر هذه المحنة يحز في النفوس ويعصف بها وقد تحدث الشعراء عن هذه النكبة وفي رثاء الأندلس شاعر أندلسي عاصر الأحداث يقول من قصيدة طويلة :

أحقا خبا من جورندة نورها
وقد كسفت بعد الشموس بدورها
وقد اظلمت ارجاؤها وتزلزلت
منازلها ذات العلا وقصورها
فواحسرتاكم من مساجد حولت
وكانت إلى البيت الحرام شطورها

وقد صدرت عن أدباء المغرب في الضفة الأخرى من البحر طائفة كبيرة من المراثي البليغة في نعي الأندلس والاشادة بفضائلها وفداحة الخطب فيها . وكان شعراء المغرب لقربهم من مسرح الحوادث ووقوعهم على كثير من الأخبار والسير المفجعة عن أخوانهم بالاندلس أشد من غيرهم تأثراً بالمحنة .. وأكثرهم أفاضة في ندب ويلاتها !!.






مدريد

المدينة التي تبتسم في وجوه الزائرين

ما زال في سوادها يتام ليل البادية

أنشأها العرب وسموها

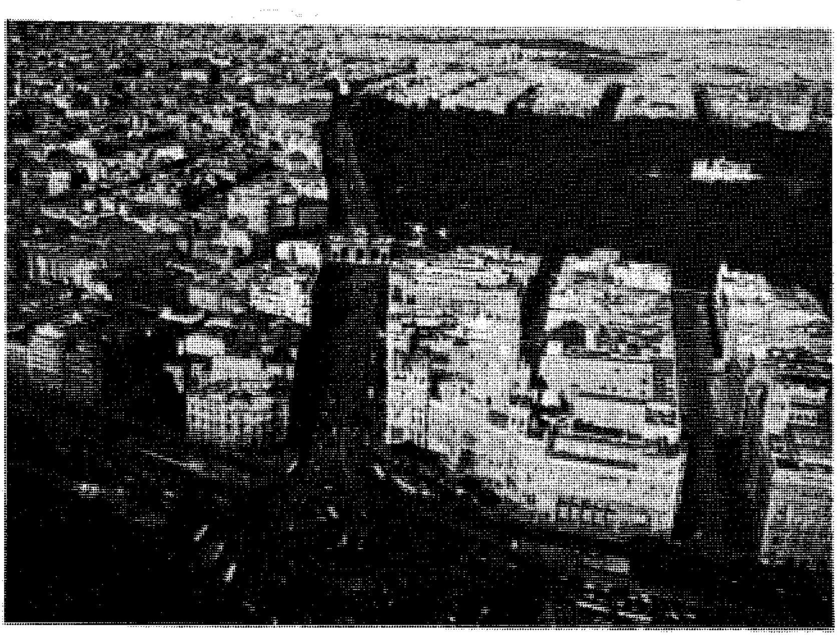
« مجريط »




مدريد

لم أعجب ببلد زرته .. كما أعجبت بأسبانيا لمحافظته على الأثار .. والعناية بها والصيانة لها على الرغم من مضي مئات السنين على انشائها . وهى مقدرة عجيبة تعطينا انطباعا عن ايمان هذه البلاد وأهلها بأهمية التاريخ لأن الاثار أصدق تاريخ !

ولم اعشق بلاداً كما عشقت ربوع الأندلس .. تلك الربوع التى ازدهت وازدهرت بأزهى العصور وما زخرت به من الفنون والآداب والعلوم التى ارتبطت بتاريخنا العربى المجيد . وتلك السطور المضيئة والصفحات الناصعة التى جسدها « أوائلنا » تلمع أمام ناظر كل عربي يزور ذلك « الفردوس المفقود » فيقف على آثار العرب : فيلمس الأثر والبصمات واضحة على كل شيء كحضارة انسانية راقية تحكي عظمة هذه الأمة وسمو فكرها . ونبوغها . تلك العظمة والمكانة التى افتقدناها لتفريطنا وانشغالنا واختلافنا نتذكر ذلك كله . فنشعر بالغصة ونجتر الآهة والحسرة تتغلغل في



مدريد تبدو من الجو

النفوس الغيورة كشاعرنا العربى الذى زار هذا الفردوس فجلس كئيباً حزيناً يكفكف دموعه ويلملم بقايا التاريخ !

فـــلامنكـــــو .. فـــــلا منكـــــو
وتستيقـــــظ الحانـــــــة الغافيـــــــة
عـــــلى قهقهـــــات صنـــــوج الخشب
وبحّـــــــةُ صـــــوتٍ حـــزيـــــن
يسيـــــل كنـافـــورة مـــــن ذهـــب
وأجـــــلس فـــــي زاويـــــــة
أُلـــــــمُّ دموعـــــــــى
.. أُلـــمُّ بقايـــــا العـــــرب ..!

وهو في موضع آخر يتفقد ويستعيد فلا يجد سوى الآثار التى بقيت تحمل الأسماء العربية .

لـــــــم يبـــــــق في أسبانيـــــــا
منَّـــــا ومـــــن عصورنـــــا الثمانيـــــة
غير الـــذي يبقـــى من الخمـــر بجـــوف الآنيـــة
ما زال في سوادهـــا ينـــامُ ليـــل الباديـــة
لم يبـق من قرطبـة سوى دمـوع المئذنـات الباكيـة
لم يبـق من ولادة ومـن حكايـا حبّهـا .. قافيـة
ولا بقايـــــا .. قافيـــــــة
لم يبق من غرناطة ومن بني الأحمر إلا ما يقول الراوية
وغيـــــر « لا غـــــالب إلا اللـــــه »
تلقـــــاك بـــــكـــــل زاويـــــة ..
لـــــم يبـــــق إلا قصرُهـــــم
كـامـــــرأة مـــــن الرخـــــام عـاريـــــة
تعـــيش لا زالت على قصة حبٍّ ماضيـــــة !!



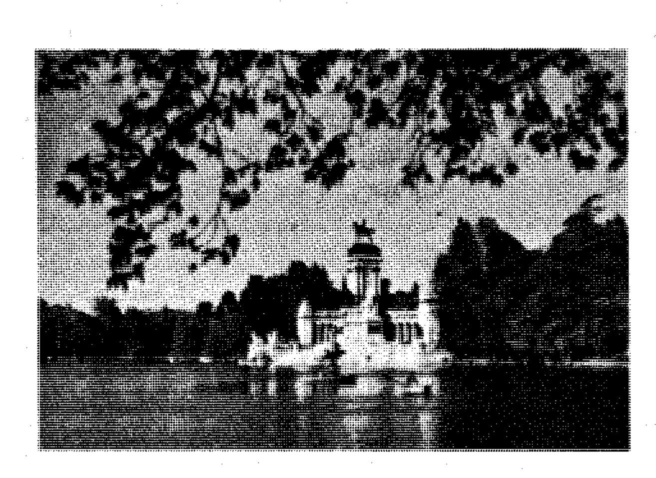
أحد الشوارع . وطابع العمارة
الاسلامية يظهر على أحد القصور

بعد الاستطلاعات الأربعة التى نشرت عن « قصر الحمراء . وأشبيلية وقرطبة . وغرناطة » توقفت عن استكمال البقية الباقية من المدن والآثار العربية بالأندلس لظروف متعددة .. حالت دون الاستمرار في النشر ولعل ردود الفعل لدى العديد من القراء والمتابعين واهتمامهم بالمواضيع التى سبق نشرها هو الحافز الذى دعاني إلى تجاوز تلك « الوقفة » وأغرانى بمعاودة الكتابة عن تلك البلاد التى رفرفت عليها راية الإسلام . ثمانية قرون ازدهرت بالعلم والأدب والفن والثقافة وكانت مسرحاً ومناراً ومهداً للحضارة التى انبثقت وشع نورها في أرجاء أوروبا .!

مدريد .. المدينة المبتسمة

ليست مدريد عاصمة أسبانيا فحسب . بل هى أيضاً عاصمة الظرف واللطف والحياة المرحة التى تشع من نفوس أهلها وحبهم للحياة

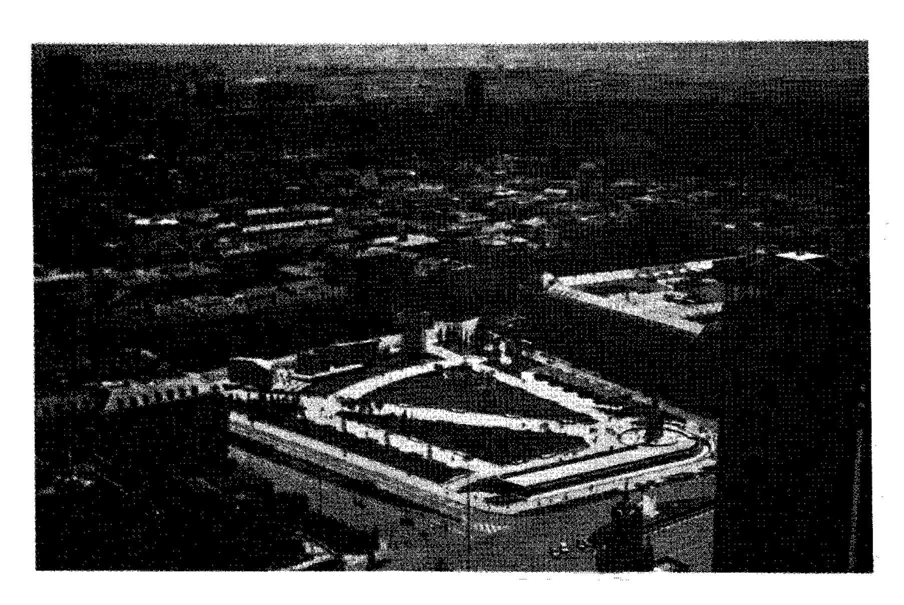
وللزائرين .. فالزائر لمدريد يحس أن سحرها وجمالها يسري في نفسه وتأثره بالطبيعة يملأ جوانبها . شوارعها حدائقها وبيئتها الخاصة فمدينة مدريد لها شخصية فذة تترك أثراً لا يمحى من النفس بمعالمها السياحية ومتاحفها وتاريخها فهى مدينة الفن والفنانين . والتى جمعت الفصول الأربعة في فصل واحد . كما جمعت طبائع الشعوب . تبدو عراقتها من خلال كهوف الغجر والحارات العتيقة الضيقة . والكرم المفتوح . والبسمة الواسعة المرسومة على ثغور الحسان . ونظرات الشيوخ . وملامح الشباب تدعوك بكل مودة لمشاركتها المرح والبهجة والمتعة . وهى حاضر مزدهر لم يسلب القديم أصالته فالماضى بعنفوانه وشموخه .. يقف صامداً . والحاضر ببهائه وروعته يمثل عصره فهي من العواصم الأوروبية الجميلة .



حديقة الرتيرو فى مدريد

مدريد .. تاريخياً

تقول العديد من المصادر أن أول من اكتشف مدريد ووضع أول حجر فيها هم « العرب » فالسلطان محمد الأول عشق هذه المنطقة التى تشكل مدريد وأقام فيها برجاً في المكان الذى يحتله الآن « القصر الملكي » قصر الشرق وهو القصر الذى يستقبل فيه البلاط الملكي الأسباني السفراء لتقديم



في لقطة جوية

أوراق اعتمادهم . وقد جاء برج السلطان ليطل على أجمل بقعة تخلب الأنظار . حدائق نسقتها ورسمتها الطبيعة العذراء . نهر وفير وغابات خضراء وحول هذا البرج العربي وفى حمايته أقيم أول حيّ كان أساس انشاء مدريد . وخلف جدران هذا الحي ارتفعت الأسوار لتدافع عن حضارتها التي اكتشفها العرب هذا الشعب العظيم الذى بكاها في يوم وتركها عام ١٠٨٣ م غير أن أبناء الشمس لم يغادروا حاراتها الأولى فحين بكاها السلاطين وملوك الطوائف التصق الشعب بالشوارع الضيقة والحارات التى حملت اسماءهم وأطلق عليهم « العرب المدجنون » وبعدها تحول الإسم إلى « الموريريا » أو حي العرب وأبناء هذا الحي هم أهل الفن وصانعي الحلي . وما زال يحافظ على طابعه العربى من هندسة وبناء البيوت المتلاصقة . الجدران والسطوح وساحات التجمع هؤلاء السكان الصامتون مازالت وجوههم تحكي الآن اسرار الأمس العميقة والعظيمة فحلاوة التاريخ ولذة تذكره وترديده لن تجعلنا ننتهي .

موقع مدريد اختاره العرب

تقع مدريد . وسط أسبانيا وتستلقي فوق مجموعة من الهضاب الممتدة بين نهري « غوادا الراما » و « الخاراما » اختار العرب حافة إحدى الهضاب الواقعة على نهر « المنشـاريس » ونهر الكستيانا . والبارادو . ليضعوا حجر الأساس وتكون حصناً طبيعياً منيعاً .!

وتعتبر مدريد العاصمة الأكثر ارتفاعاً في أوروبا وعلى الرغم من ذلك طقسها أكثر صخباً من باقى الدول الأوروبية فالجبال تحيط بها من الشمال تسمح باستنشاق الهواء النقي في جميع الأنحاء وتحافظ على نسمات الهواء الطلق طوال السنة . والثلوج التى تتساقط على تلك الجبال المحيطة بمدريد تؤمن وفرة ونقاوة مياه مدريد حيث تعتبر العاصمة الأسبانية أغنى مدينة في المياه . كذلك توفر الثلوج لهواة التزلج على الجليد !

وموقع مدريد الفريد بين الجبال يميزها بين العواصم إذ أن الشمس تبقى ساطعة ومشرقة وحنونة معظم أيام السنة إن ابناء مدريد اليوم وابناء « مجريط » الأمس من المسلمين لمتحدون باسمى وشائج التاريخ والعادات والتراث فعقر دارهم مدريد وهى تنطق بحق عن أصولها وجذورها العربية لقد شيدت منذ ألف سنة لكي تواجه في عزم وحزم مصيرها المحتوم .

ولقد أدرك الأمير محمد الأول الجد الأول لعبد الرحمن الثالث في أواسط القرن التاسع أن فوق هذه التلال يمكن أن تشاد مدينة تصبح مصدر إشعاع حضاري وحصناً منيعاً لصد الغزوات !

العرب والاستراتيجية :

انشأ العرب مدريد أو « مجريط » في هذا الموقع لكى يسدوا بها

حاجة استراتيجية ماسة للثغور الإسلامية المتاخمة وسرعان ما اتسعت القلعة العربية حتى اصبحت مدينة « شريفة » كما يصفها سائر الجغرافيين العرب !

ومن وصفهم نرى أنها كانت مدينة تحفها وتكتنفها الزروع والأشجار وتكثر من حولها الحدائق والجنات منبسطة تحت أقدام سورها ومن « كتاب المقتبس » لأمير مؤرخي الأندلس ابن حيان « حين تناول عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن يقول ابن حيان نقلا عن الرازى » ولمحمد في سلطانه الآثار الجميلة والآيات الجزيلة والفتوح العظيمة والعناية التامة بمصالح المسلمين والتهمم بثغورهم . والضبط لأطرافهم والتوجه لمصالحهم وهو الذي أمر ببناء حصن استيرش لغلال مدينة سالم وهو منها بين الجوف والغرب وهو الذى بنى لأهل ثغر طليطلة حصن « طلمنكه » وحصن « مجريط » وحصن بنى فراطة !

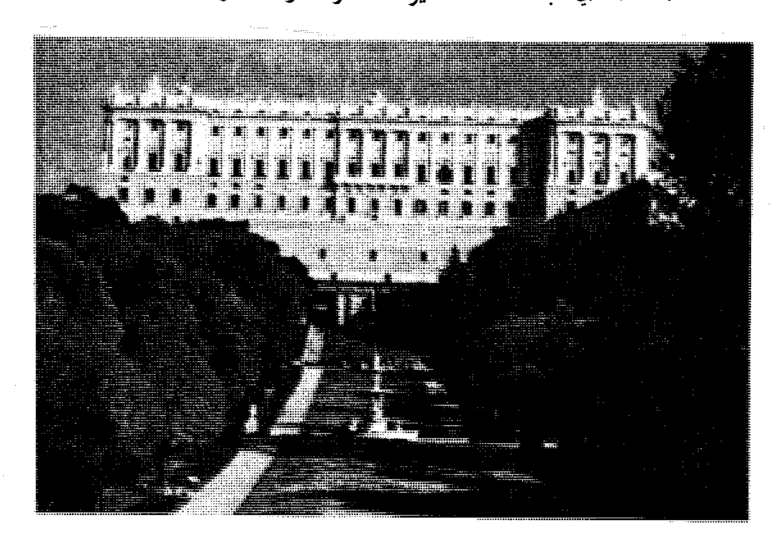
وعلى الرغم من أن العرب منشئو مدريد أو مجريط إلا أن كثيراً من المؤرخين اختلفوا حول اسمها ففيما يقال ان الاسم « مجريط » معنى مركب من كلمة عربية وهو « مجرى » مضاف إليه مقطع نهائي من اللاتينية الدارجة « يط » بمعنى التكثير ليصبح معنى الكلمة المدينة التى تكثر فيها المجاري والاشارة هنا إلى المجاري والقنوات الجوفية التى كانت تحمل الماء إلى سكان المدينة وبيوتها وحدائقها وزروعاتها وحماماتها إذ قام العرب باحضار المياه من الآبار الارتوازية التى حفروها من التلال القريبة . ومرروا المياه الجوفية داخل القنوات إلى المدينة إذ أن نهر المنثاريس لا يكاد يغنى شيئاً في امداد مدريد بالماء وحتى اليوم يسخر الناس من هذا « النهير » المتواضع فيقال : أن له الفضل على سائر أنهار الدنيا إذ يمكن عبوره بكل طرق المواصلات الممكنة على ظهر مطية أو سيراً على الأقدام إشارة إلى جفافه في معظم أوقات السنة . وقد أصبحت مدريد في الوقت الحاضر أغنى مدن العالم

بفضل تلك الطرق التى أوجدها العرب . وحدثها المهندس برافو موريليو سنة ١٨٤٥ م تحت أسم قناة ازابيل الثانية ،وإلى هذه المجاري يعود الفضل !

ومدريد اليوم تحافظ على اشيائها العربية الكثيرة رغم تقدم العمران وتوسع المدينة مثل شارع الغرنادة وحقل البابيو وحقل الزيتون وحقل الفستق واللوز وحقل المورو وهذا الحقل كان منطقة النزهة لأهل « مجريط »!!

وباختصار نستطيع أن نقول أن مدريد هذه المدينة العريقة قد ورثت عن أسلافها العرب حب العلم والفن وحسن الضيافة وطيب المعشر . وفيها أماكن فريدة معبرة عن روح المدينة تحيط بها مناطق ريفية جميلة وأماكن آثار قديمة هواة المتاحف والآثار يجدون الكثير منها وهواة التسلية والسهر يجدون الأماكن الممتعة . ومشاهدة الرقص الشعبى الأندلسي « فلامنكو » !! وتقام فيها الأعياد والمناسبات والمهرجانات الشعبية وحلبات مصارعة الثيران .

القصر الملكى ــ والمتحف الحربى يضم بعض الآثار
منها ثياب أبي عبد الله الصغير . آخر ملوك العرب !!



المعالم والآثار

تحتوى مدريد على رصيد ضخم من الآثار والمعالم والآثار التى تسترعى انتباه الزائر فالشوارع منسقة ترتبط بالقديم منها بنظام سير منظم وتنتشر على جوانبها الأبنية الحديثة والقديمة المحلاة بالنقوش والتماثيل والحدائق الكثيرة التى يجد الجميع فيها الراحة والهدوء فمن تلك الحدائق .

* حدائق « الرتيرو » وهى عبارة عن جزيرة خضراء يتخللها ممرات عريضة مزينة وبحيرة جميلة وبها قصر الرسام الشهير « بلاثكيت » وقصر الزجاج .

* حديقة النبات وتقع وسط العاصمة ويوجد بها حوالى ٣٠ ألف نبتة من جميع أنحاء العالم وكل نبتة تحمل اسم عائلتها ومنشأها !

* حديقة الغرب والأزهار وهما حديقتان رائعتان بالقرب من النهر وعبارة عن واحة خضراء تقام بهما كل ربيع مسابقة عالمية للأزهار .

* حديقة (سباتينى) أو حقل المورو .

* حديقة الحقل الريفى وهى غابة من الأشجار الخضراء بوسطها بحيرة اصطناعية وتضم حديقة للحيوانات ومطاعم ومقاهى مرتبطة بمدريد « بتلفريك » .

وهناك العديد من الحدائق والمنتزهات والخضرة تكسو الأرض.

المتاحف الهامة :

يوجد بمدريد عدد كبير من المتاحف التى تحتوي على أعمال اقطاب فن الرسم الأسباني والرسم العالمي . وبها ايضا متاحف لأعمال كبار المثالين وأخرى للآثار والعلوم .

القصر الملكي

القصر الملكي من أجمل القصور الأوروبية يحتوي على نفائس فنية وقطع وطنافس وأثاث ودروع حربية يضم عدداً من الصالونات الفخمة التى تحتوي على تحف تاريخية وأصناف من السجاد القديم . وتقام فيه دعوات رسمية كما توجد بالمتحف الحربي ثياب أبى عبد الله الصغير آخر ملوك الطوائف والحاكم العربي الأخير الذى سلم « مفاتيح غرناطة » عندما سقطت والذى أطل من قصر الحمراء وتتابعت الزفرات منه .. وبكى فنهرته أمه عائشة الأندلسية وهى تقول : « أجل فلتبك مثل النساء ملكاً لم تدافع عنه كالرجال »!

وقد سبق ان قدمنا ذلك مفصلا في استطلاع غرناطة .

متحف البرادو

يعد متحف البرادو من أشهر المتاحف في العالم يضم اعمالا فنية ورائعة وشهيرة لرسامين عالميين يقع في مبنى فخم يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر .

متحف الشمع

يضم متحف الشمع مجموعة من تماثيل الشمع تمثل مختلف الشخصيات السياسية العالمية واشهر الكتاب والمؤرخين يشتمل على ٣٣٠ شخصية عالمية .

متحف الفن الاسباني

المتحف الأسباني للفن المعاصر يقع في المدينة الجامعية مليء بالرسومات والنحت الأسباني والأجنبي .



متحف البرادو فى مدريد

المتحف الرومانتيكي

يضم المتحف الرومانتيكى مجموعة من اللوحات والآثار التى تعود للقرن التاسع عشر .

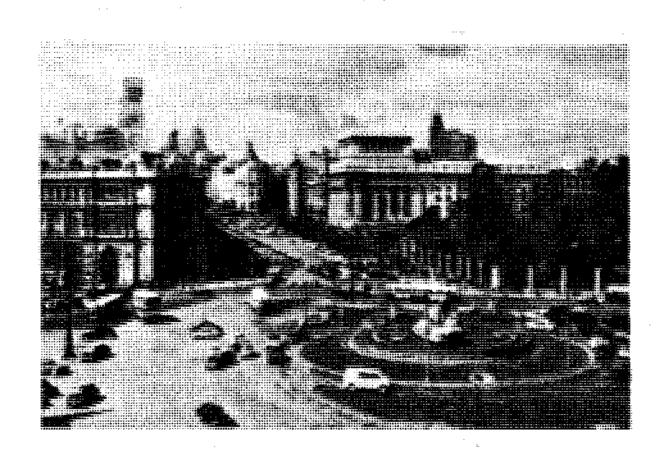
كما توجد أيضاً مجموعة من المتاحف التى تضم مختلف أوجه الفنون والآثار ومدارس الرسم المختلفة الاتجاهات والميول حيث يتوافد عليها الزوار من مختلف بلدان العالم فيجدون فيها ما يملأ رغبات نفوسهم وينبش عن صفحات مطوية في التاريخ والأدب والفنون لهذا البلد العريق الذى يحافظ أهله على تلك الثروات الهائلة من الآثار التى تمثل مختلف العصور .

مصارعة الثيران

مصارعة الثيران هذه الرياضة التى تتميز بها أسبانيا يرجع تاريخها إلى

الاغريقيين والرومان وظهرت في جزيرة كريت وفي بدايتها اتخذت وجها دينيا يعبر عن الانسان البشري العادي الذى يتمثل فيه الخير بمواجهة الثور المتوحش الذى يمثل الشر ثم تحولت وسيلة لتسلية الأشراف والنبلاء وإلى تكريم الشجاعة بعد نهاية عصر صيد الثيران المتوحشة .

وفي القرن الثامن للميلاد ظهرت مصارعة الثيران في أسبانيا كاحتفال شعبي حيث بدأت تعرف بالمهرجان الوطني الأسباني ومع دخول العرب أسبانيا تطورت المصارعة وأخذت وجه الرياضة الرائع لما اضفاه العرب من فنون الفروسية وأصبح المصارع يواجه الثور ممتطياً الحصان . إلى أن تطورت المصارعة إلى ما هى عليه الآن !! .



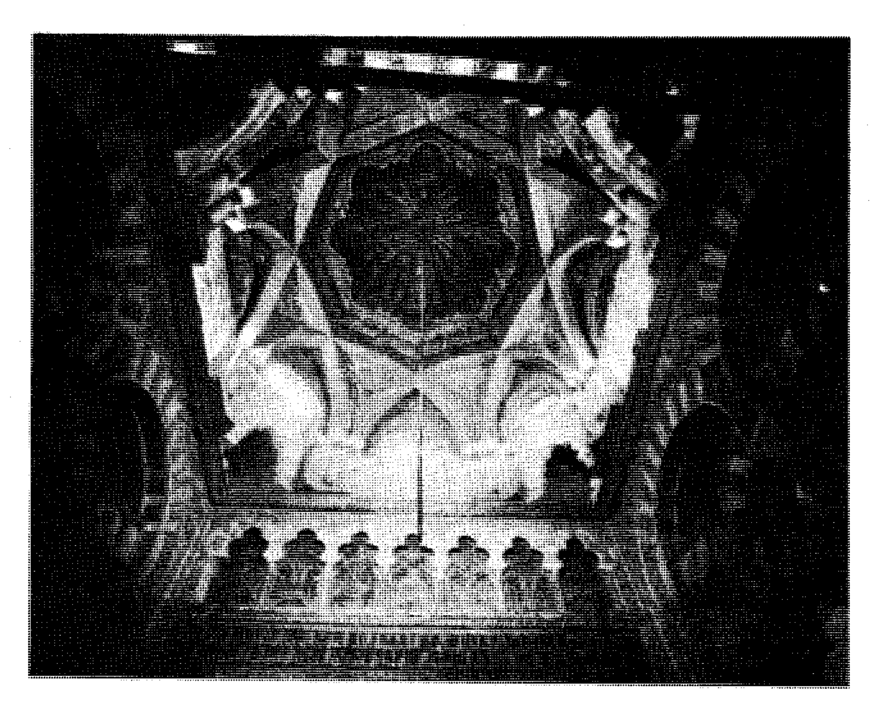
إحدى الساحات « تيليس »

اشهر الساحات

توجد العديد من الساحات العامة التي تربط كل ساحة منها بحدث أو مناسبة لتخليد ذكرى لها علاقة باسبانيا فمن أشهر الساحات .

ساحة الشمس

تقع ساحة الشمس وسط مدريد وهى المركز الرئيسي وسطها يقوم



الزخرفة والأعمال الفنية الإسلامية

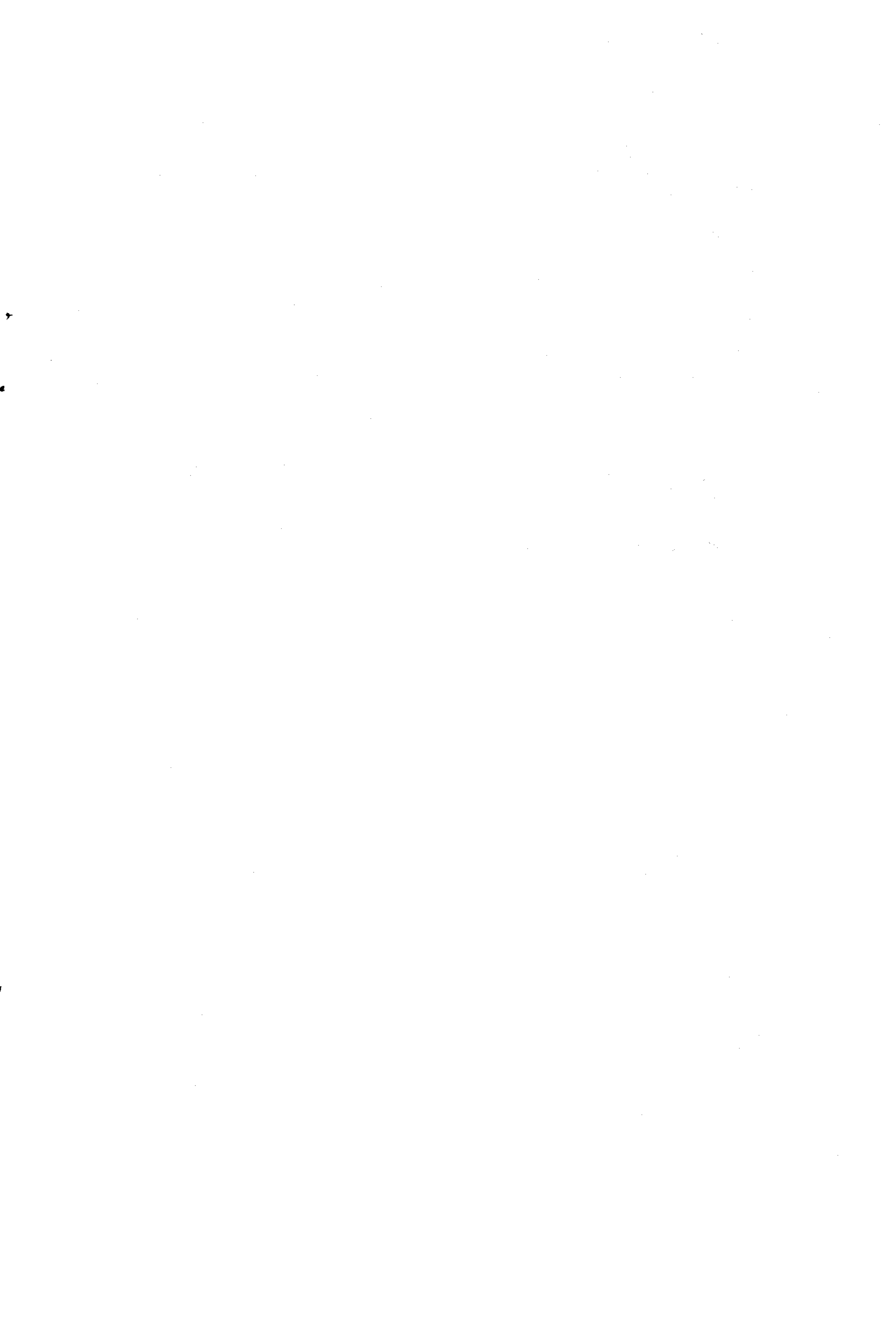
تمثال يمثل شعار مدينة مدريد . اشتهرت بساعتها الكبيرة التى يجتمع الناس تحتها كل سنة للاحتفال بالعام الميلادى ! .

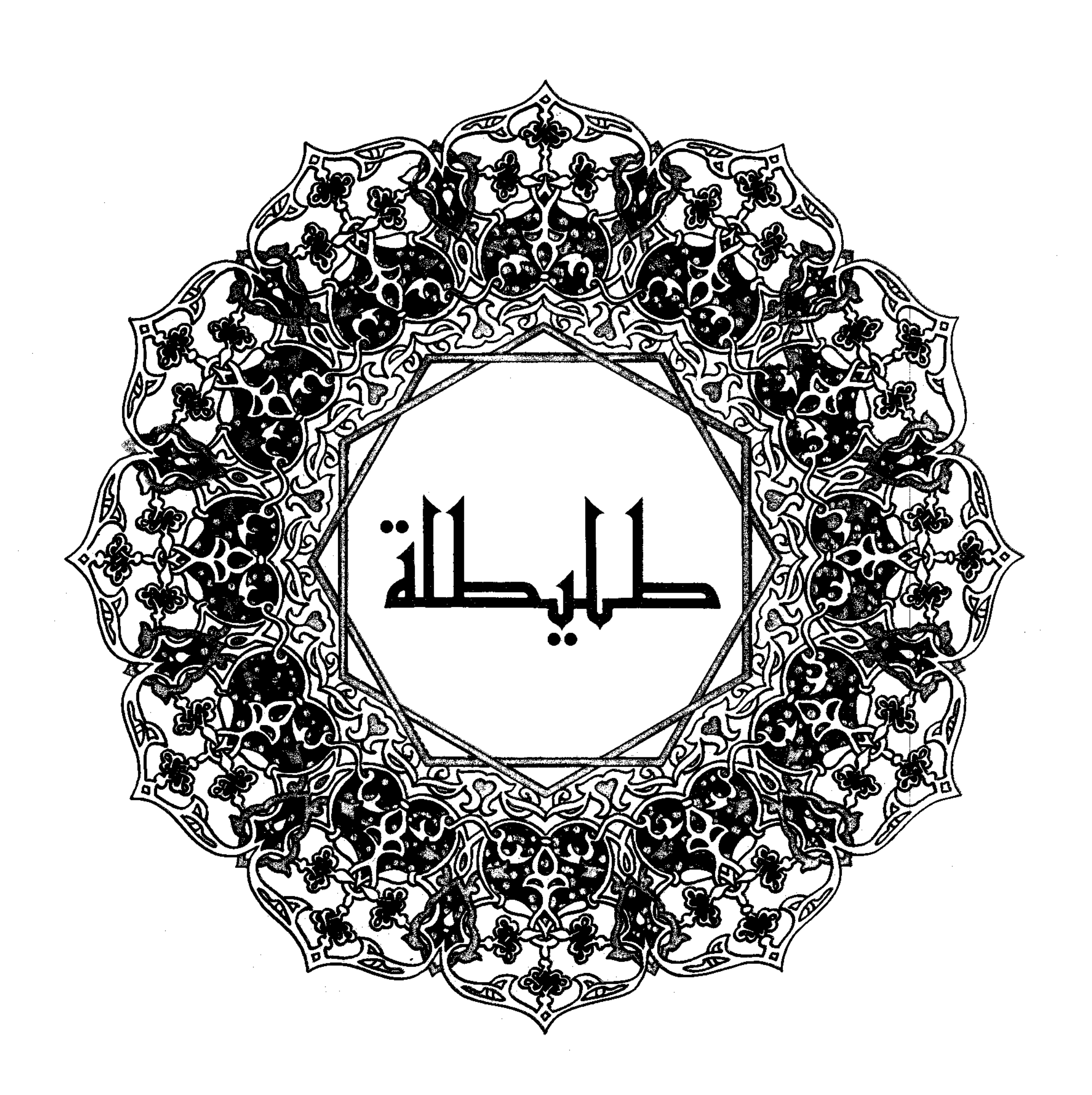
الساحة الكبرى

كانت فى الماضي مقراً للاحتفالات الملكية . من أجمل الساحات القديمة . تمتاز بوجود حوانيت تعرض فيها التحف والطوابع القديمة . وبالقرب منها كهوف شعبية تكتظ بالزوار يومياً تدعى « لوس ميسونيس » !

ساحة كولون

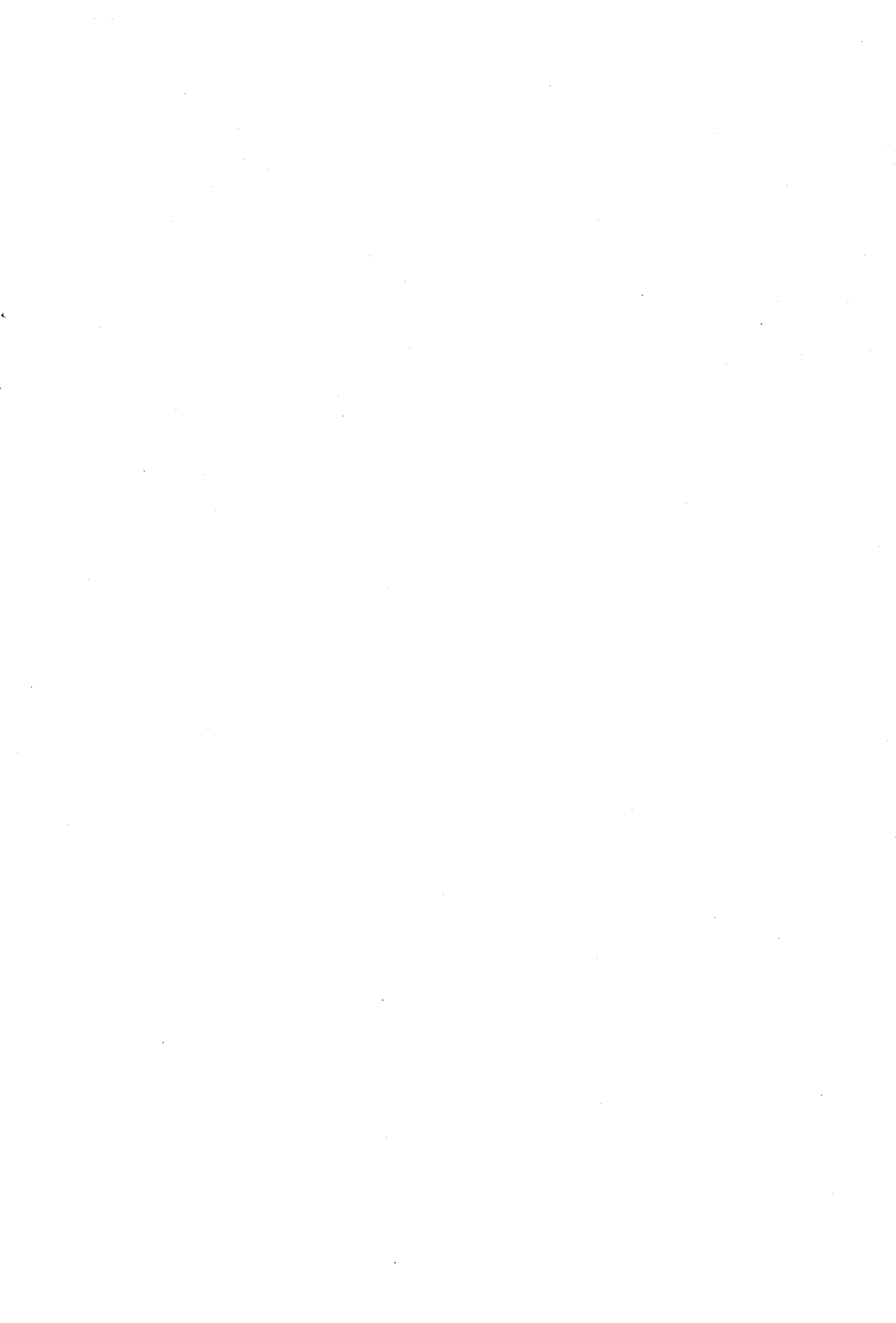
سميت تخليداً لمكتشف القارة الأمريكية الرحالة « كرستوف كولومبس » حيث يقع في وسطها تمثال ضخم له . وفي أسفل الساحة يوجد مسرح البلدية تقام فيه حفلات موسيقية . وتشرف على الساحة المكتبة الوطنية ..



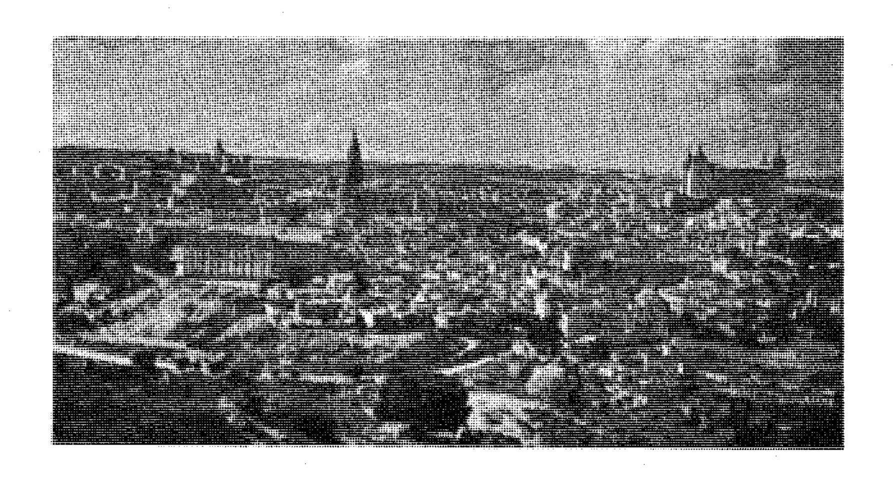

طليطلة

بوتقة الثقافات ..
ورمز القيم الخالدة

دخلها العرب .. فأصبحت أكبر مركز
للعلوم والفنون



طليطلة



طليطلة ـــ من الجو ـــ وهى غنية بالمناطق الأثرية

بالقرب من مدينة مدريد تقع العديد من المناطق والمعالم السياحية « من بيئة وفن . وتاريخ » مرتبطة بمدينة مدريد . بالعديد من الطرق المعبدة وبمسافات متقاربة لا تزيد عن مائة كيلو متر تقريباً هذه المعالم وهذه المناطق يهرع إليها السياح .. من كل أنحاء العالم لشهرتها . ولما تشتمل عليه من التراث الفني . والتاريخي .!!

حيث يجد فيها الزوار متعة . وهم يتنقلون من أثر إلى أثر . عبر عصور التاريخ . ومراحله التى تمثلها هذه الأعمال الخالدة التى يقف عليها الزوار فمن عصر الرومان . إلى العصر القوطي . إلى التاريخ العربي المجيد . إلى اعمال الأسبان . بعد رحيل تلك الأمم . تجسد تلك الحقب والأزمنة التى عاشها أولئك . وتكمن عظمة الأسبان في حرصهم . ومقدرتهم العجيبة على المحافظة على تلك الآثار . وصيانتها . وتوارثها جيلا بعد جيل . دون أن تتعرض للتلف أو الأندثار . حتى تحولت إلى مصدر دخل هام .

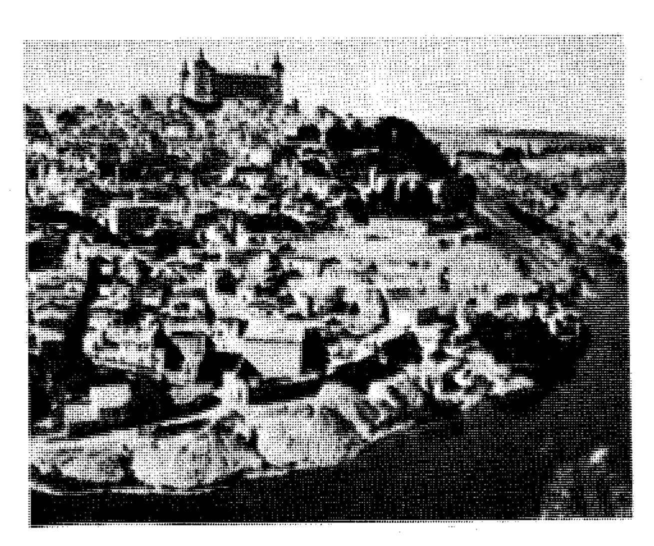
طليطلة المدينة المتحف !!

طليطلة . المدينة المتحف . تقوم على ضفاف نهر « التاج » « التاخو » كما يسميه الأسبان . وسط مناظر الريف الممتدة . إلى الآفاق البعيدة . وهى مدينة محصنة . وتبعد عن مدريد « ٧٠ كيلو متر » وعند الاقتراب منها تشاهد أشجار وغابات الصنوبر ومساحات واسعة مزروعة بأشجار الزيتون . ومن حين لآخر تطالعك . دور ريفية . أقيمت إلتماساً للراحة في هذا المحيط الحالم . وعندما تدخل المدينة . سرعان ما تواجهك . طليطلة . بأبنيتها العريقة . وساحاتها وطابعها « الدمشقي »!!

وتقع على مرتفع صخري . والنهر يحيط بها من ثلاث جهات ورابعها سور مزدوج . حيث يعطيها هذا الموقع تحصيناً واستراتيجية فريدة . يمتزج بها التاريخ امتزاجاً . ويشكل قرون التاريخ . تترجم فناً . من الحضارات الغابرة . فتقدم فناً . رومانياً . وقوطياً . وكلاسيكيا وعربيا . ولذا تعتبر هذه المدينة الخالدة مثالاً رائعاً لفن وتاريخ وحضارة أسبانيا . حيث لا تزال تحافظ على مظهرها . دون تغيير . وكأن الزائر لها يعود به الزمن إلى أربعمائة عام خلت بتجواله داخل المدينة عبر الزمن والتاريخ .! وقد دخلها العرب سنة ٧١٢ م ومارسوا فيها شريعة التسامح الدينى . واصبحت في تلك الفترة أكبر مركز للعلوم والفنون . وكان تأثيرها على الحضارة الأوروبية مهم جداً .!

ونستطيع أن نقول أن طليطلة . تمثل قطعة فنية رائعة . تمثل الطراز القوطي والعربي . والمسيحي وأهم ما فيها أبواب المدينة وجسورها .

وهى فياضة بالتاريخ موحية بالمعاني الروحية .. ولكى يصل الزائر إلى أعماق النفس الطليطلية ينبغى عليه التجول في شوارعها الضيقة . وأن يطل على النهر « التاخو » و « التاج »!! ويطلق نظرة إلى الآفاق المترامية يأتي .



مدينة طليلطة
يحيط بها نهر « التاج »

الليل فيستمع إلى وقع خطواته . وسط السكون المخيم . وصوت خرير المياه . وهبْات النسيم وضوء القمر عندما يتسلط على احجارها القديمة فيكسبها ألواناً ويشكلها . عندها يحس الزائر بسحر طليطلة وجمالها . الذى يستقر في نفسه !! .

أهم مظاهرها

المسجد : أثر خالد تركه العرب وهو شبيه بمسجد قرطبة . ويعرف الآن بكنيسة « كريستو دى لالوث » الشهيرة ذات القباب والأعمدة .. بالاضافة إلى غيره من الآثار الفريدة التى تركها العرب مثل جسر القنطرة وباب السهل وباب الشمس . وسوق الدواب . وغيرها .

ثم هناك القصر في أعلى منطقة في المدينة وهو من أهم المناطق الأثرية . في أسبانيا . وقد تعرض للتدمير . زمن الحرب الأهلية . أثناء محاصرة قوات الجنرال فرانكو للمدينة وأعيد بناؤه من جديد .

جسر القنطرة

وهو أقدم جسر في المدينة.في بداية الأمر باشر في بنائه الرومان. ثم أتمه العرب .

باب " بيساغرا " باب " الرحبه "

باب « بيساغرا » مشتق من أصل عربي « باب الرحبة » ويمثل هندسة الفن العربي .

طليطلة في المعجم :

ذكر ياقوت الحموى في معجمه طليطلة . مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادى الحجارة . من أعمال الأندلس وهى غربي ثغر الروم . وكانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم وهى على شاطىء « نهر ماجة » وعليه القنطرة التى يعجز الوصف عن وصفها !.

وقد ذكر قوم أنها مدينة دقيانوس صاحب أهل الكهف . قالوا : وبالقرب منها موضع يقال له حنان الورد فيه أجساد أصحاب الكهف لا تبلى إلى الآن!! .

وهى من أجل المدن قدراً وأعظمها خطراً ومن خاصيتها أن الغلال تبقى في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للفارس .! « أي حوالى ٣٢٠كيلو متر تقريباً »!

وكانت طليطلة تسمى مدينة الأملاك ملكها أثنان وسبعون ملكا . منذ أيام الفتوح إلى أن ملكها الأفرنج سنة ٤٧٧ وكان الذى سلمها إليهم . يحيى بن يحيى ابن ذى النون . الملقب بالقادر بالله . ودخلها سليمان بن داود . وعيسى بن مريم وذو القرنين . والخضر . عليهم السلام فيما زعم أهلها . وإليها ينسب جماعة من العلماء منهم : أبو عبد الله الطليطلي . وعيسى بن دينار بن واقد الغافقي الطليطلي .. وكان ابن لبانة يقول : فقيه الأندلس عيسى بن دينار . وعالمها عبد الملك بن حبيب . وغالقها يحيى بن

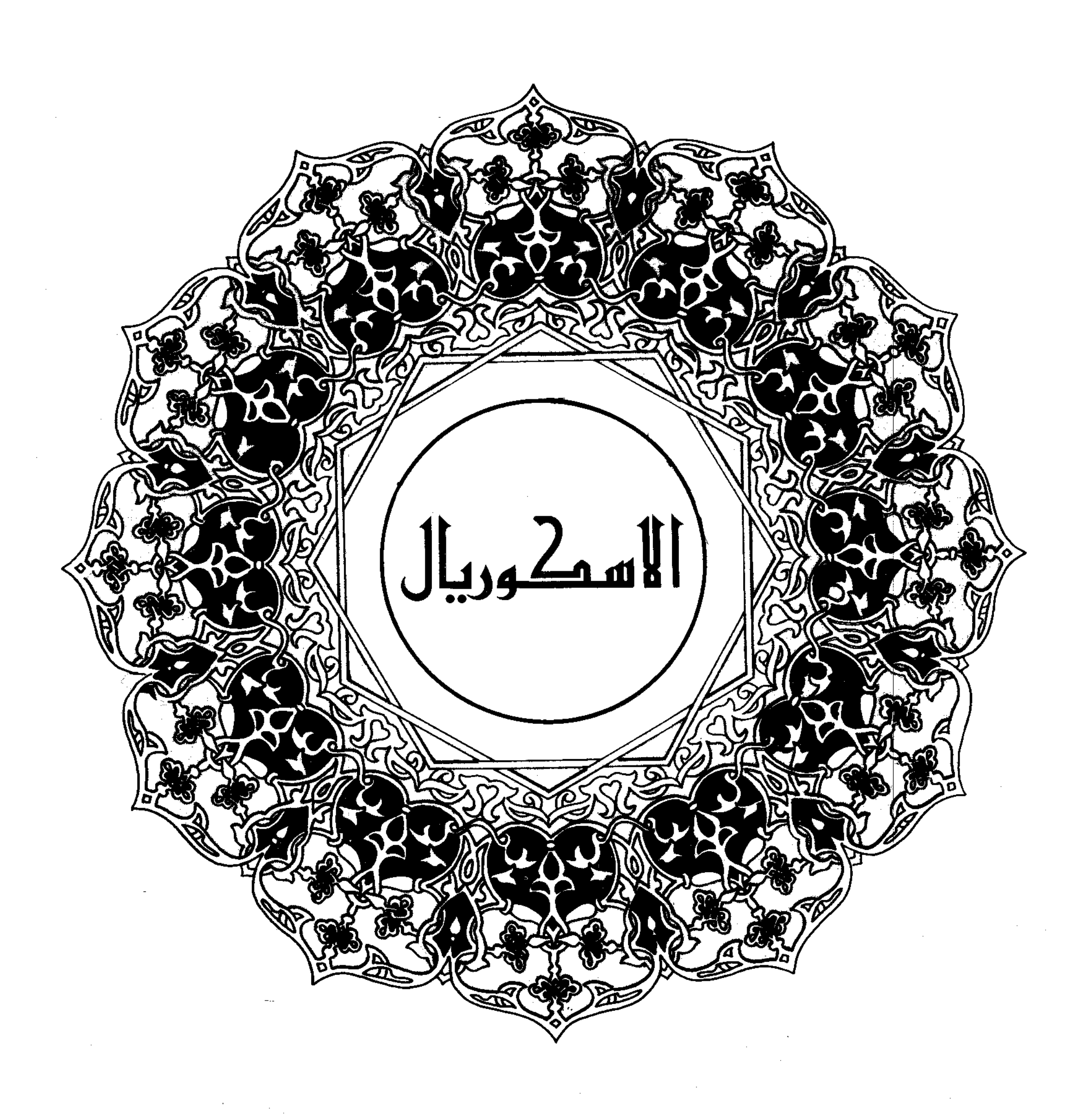
يحيى .

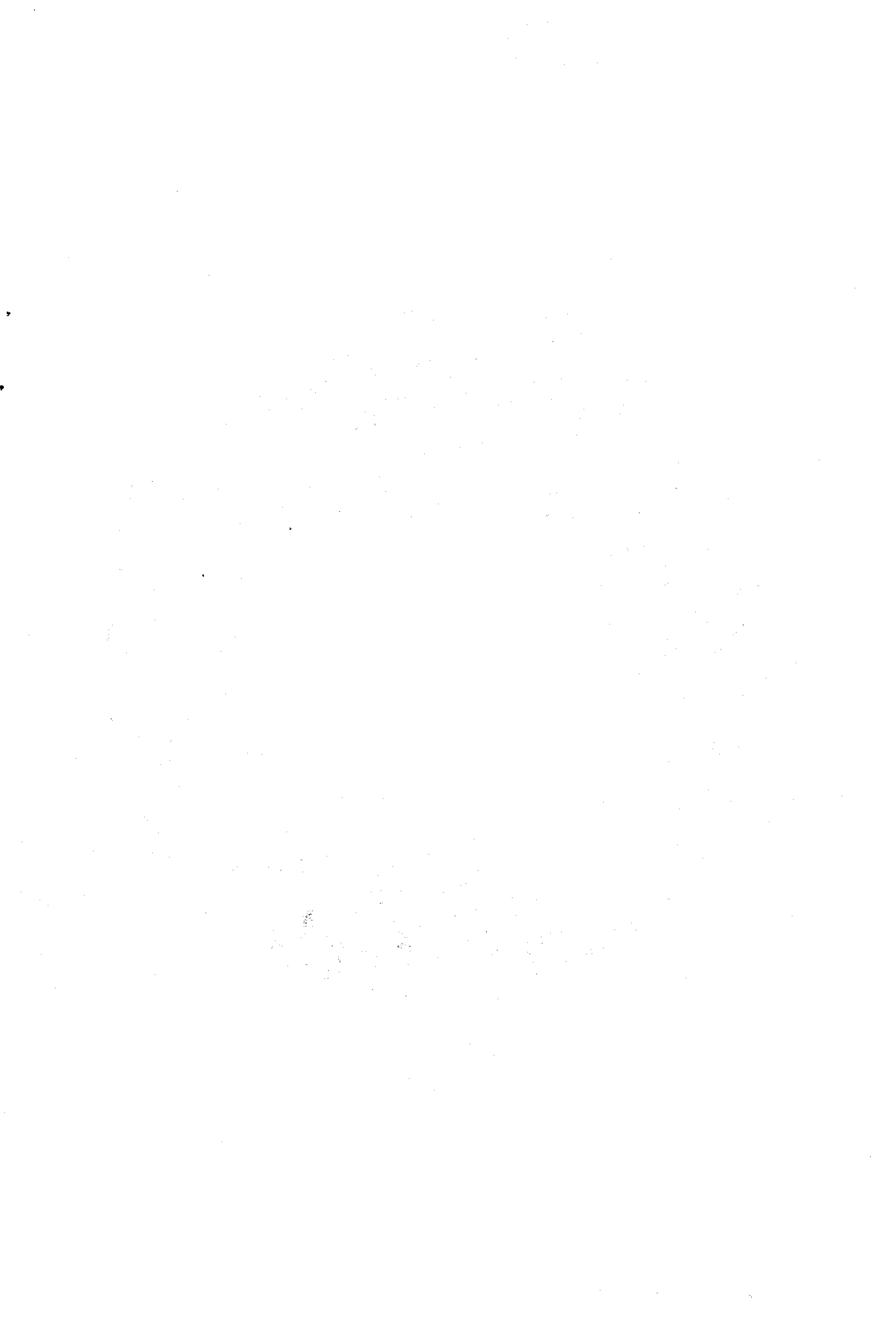
ومحمد بن عيشون الطليطلى . أبو عبد الله كان فقيهاً وله مختصر في الفقه . وكتاب في توجيه حديث الموطأ .

طليطلة واقليم قشتالة ! :

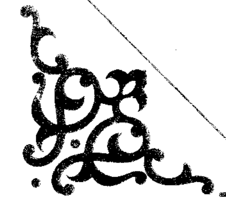
وقد ورد عنها في الموسوعة العربية الميسرة «طليطلة مدينة .. عاصمة مقاطعة طليطلة . وسط أسبانيا باقليم قشتالة الجديد . من أهم المدن الأسبانية من الناحية التاريخية والثقافية . يرجع تاريخها إلى ما قبل الرومان ومركز أسقفى قديم . ازدهرت كعاصمة لمملكة القوط الغربيين . بلغت قمة ازدهارها أبان حكم العرب « ٧١٢ ــ ١٠٨٥ م » باعتبارها حاضرة للامير ثم عاصمة لمملكة مستقلة مستقلة . ومركزاً للثقافة العربيـة الاسبانيـة . أبـان حكم العرب . وملوك قشتالة . الذين اتخذوها مقراً لهم . من معالمها العربية جسر القنطرة عبر نهر تاجه فهى مركز عظيم من مراكز الفن الاسلامي . كما أنها مركز لفن المدجنين . أشتهرت في العصر الإسلامي وبعده بصناعة التحف المعدنية »!! .




الاسكوريال



تحتفظ بالمخطوطات والكتب النادرة
والأعمال الأدبية والعلمية لعلماء
العرب من القرون الوسطى





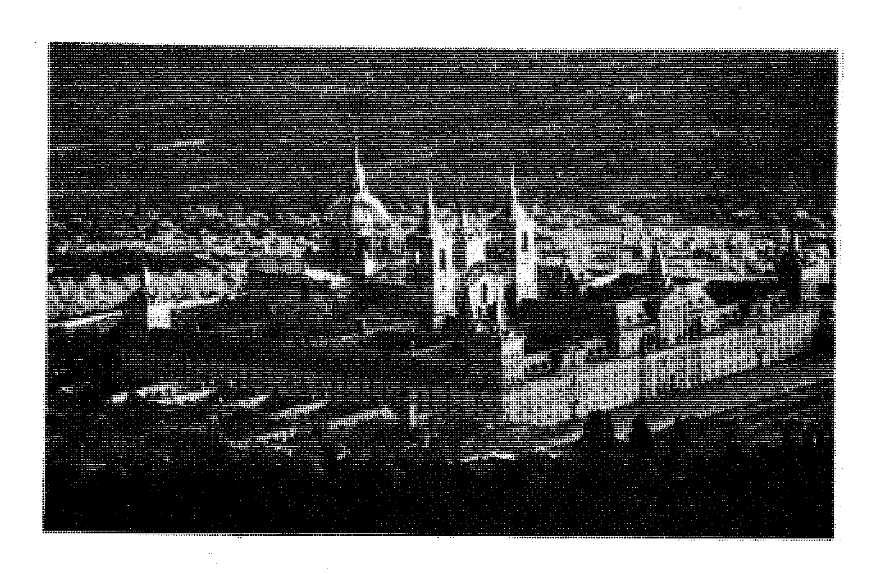

الأسكوريال وتظهر في الصورة المكتبة « الشهيرة » التي تضم كتبا ومخطوطات عربية قديمة . وأعمال علمية وأدبية لعلماء مسلمين فى القرون الوسطى !

الأسكوريال
شمال مدريد المعالم والآثار

من المعالم الأثرية التى تقع بالقرب من مدريد العاصمة .. نتجه شمالا حيث تقع العديد من المواقع الغنية بالآثار ذات الأهمية التاريخية منها ..!

الاسكوريال والمكتبة العربية

تعتبر الأسكوريال من أهم المناطق الأثرية في أسبانيا كانت إحدى المناطق لاقامة ملوك أسبانيا القدامي تحيط بالأسكوريال التى تبعد عن مدريد العاصمة حوالى ٤٧ كيلو متر الغابات الكثيفة . والمناظر الخلابة الممتدة . أمام جبال « وادى الراما » ويقسم المنطقة إلى الكنيسة والساحات والمكتبة التى تعتبر من أكبر المكتبات . في العالم لاحتوائها على العديد من المخطوطات النادرة والفنية والكتب العربية القديمة . وأعمال علمية . وأدبية



المكتبة من أكبر المكتبات فى العالم !



منظر عام لمنطقة الأسكوريال

لعلماء عرب في القرون الوسطى ! .

هذا بالاضافة إلى وجود عدد من القصور والمساكن الملكية الرائعة . مثل قصر « الأنيفانته » وقصر الأمير الذى يوجد بالقرب منه كرسي فليب الثاني مصنوع من الصخر حيث كان يتابع منه هذا الملك أعمال بناء « الأسكوريال » .

وهى مركز للراحة والتمتع بالهواء النقي . والتأمل بجمال الطبيعة ويجد الزائر لها ما يغريه للزيارة وقضاء وقت طيب وممتع . إذا يعتقد الأسبان أن الأسكوريال تعتبر إحدى عجائب العالم الثامنة .. وتحيط بها غابات واسعة . أنشئت وسطها بعض المساكن فأكسبت المنطقة جمالا وروعة والجبال تحتضنها في رقة وحنان!! .

وادى الشهداء والتجويف الصخرى

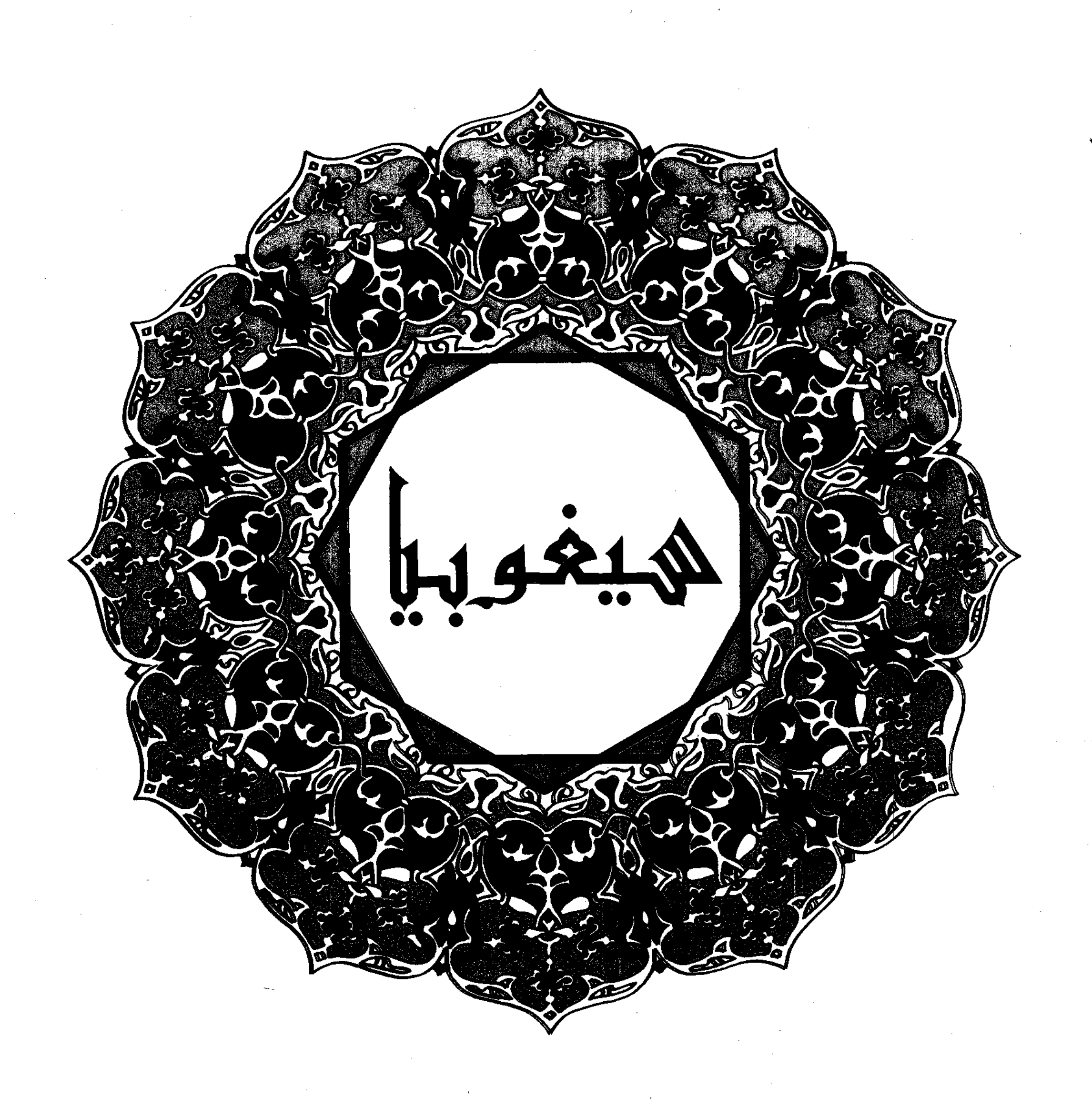
يقع وادى الشهداء على مسافة بضعة كيلو مترات من الأسكوريال . في وادى صخري من وديان جبال الرملة . يسمى « الريسكو دلانايا »!! .

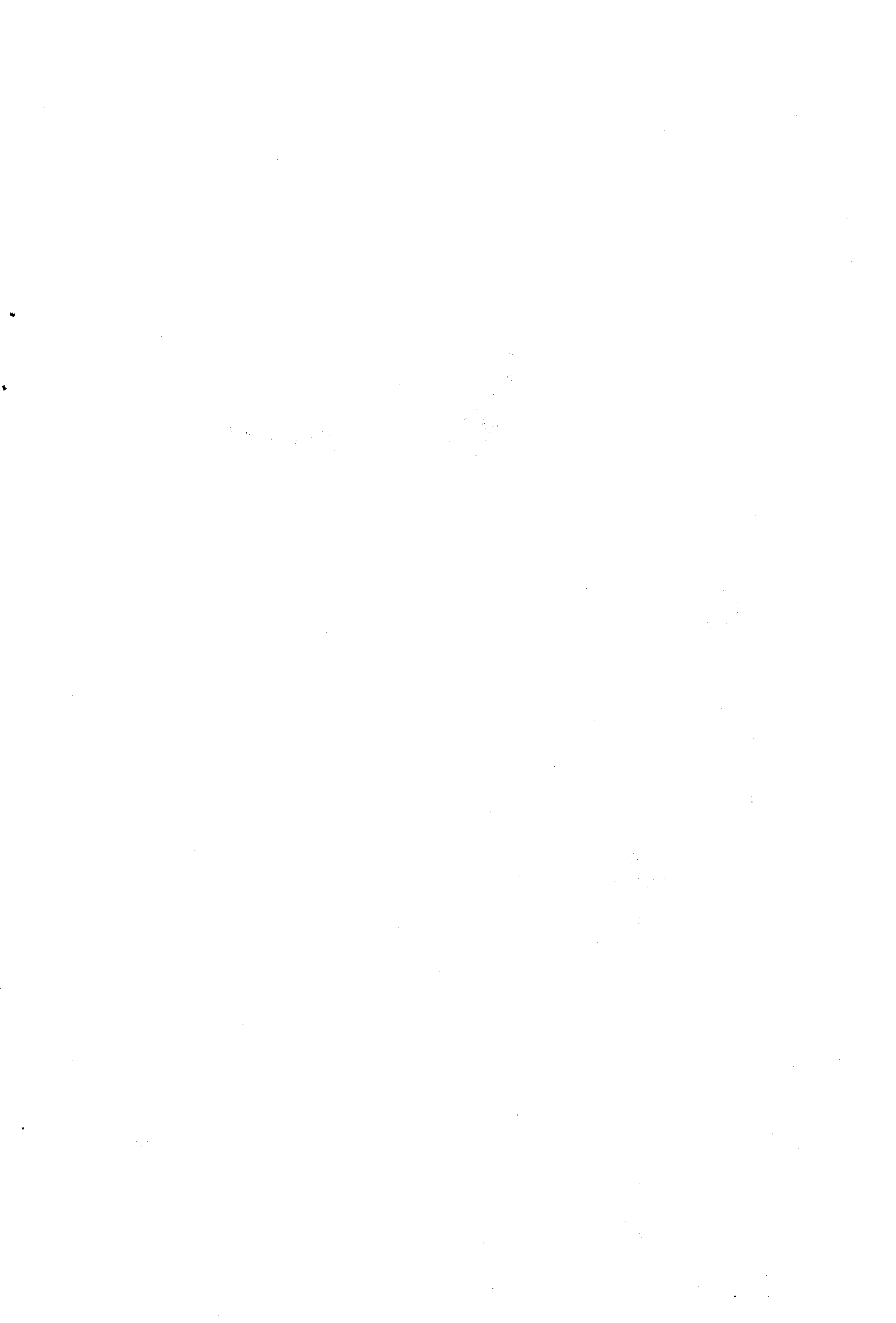
ولعل ما يلفت نظر الزائر هو التجويف والحفر داخل الصخر بطول

٢٦٢ متر يدخل منه إلى الكنيسة وتحيط بهذه المنطقة جبال جميلة ذات خضرة دائمة! .

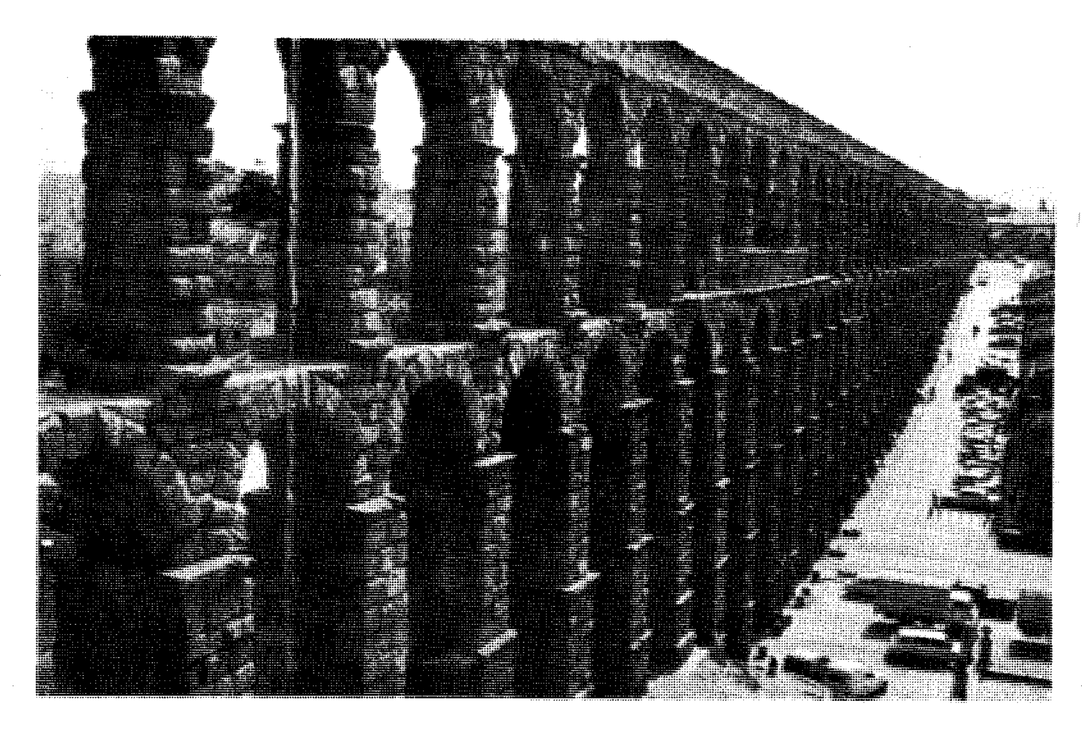
وادى الحجارة :

يقع وادى الحجارة على بعد ٦٥ كيلو متر عن مدريد . حيث يسير الطريق إلى المقاطعة بمحاذاة مجرى نهر ايناريس ضمن منطقة « الكاريبا » ذات المناظر الطبيعية الجميلة وهى منطقة تتوفر فيها امكانية الصيد البري والنهري ومن أهم المعالم . القصر الذى يظهر فيه الطابع القوطي المدجن . وأهم أجزائه الداخلية . بهو يسمى « بهو الأسود » وقاعة كبيرة يطلق عليها إسم « صالون المعارك » . كما تحتفظ كنيسة « سانتا ماريا » ببابين من الطراز العربي الأصيل!! .


سيغوبيا



ذات الطابع الكلاسيكي
وقناة المياه الشهيرة !!



١٦٧ قوساً رومانياً ..!

سيغوبيا منطقة الآثار

بعد جولة استمرت عدة ساعات دون أن نشعر بأي ملل أو سأم . ونحن نعيش بين أكوام التاريخ . نقلب صفحاته . في تلك المرتفعات بين الأودية . والغابات والمناظر الطبيعية . انحدرنا شمالا مع تلك الجبال التي تكسوها بل تغطيها الخضرة حتى إننا نسير مسافات طويلة في ظل ظليل والأشجار العالية تغطى الطرق . وتحجب الشمس . والمياه تنساب . عذبة . رقراقة حيث تعزل الجبال منطقة مدريد عن منطقة سيغوبيا المدينة الحالمة . التى تقع بين نهري « ايريسيا . وكلاموريس » وهى محاطة بأروع المناظر الطبيعية الخلابة . وفي وسطها يقع القصر « الكاثر » المشهور عالمياً والنادر الوجود ويحيط به أروع عمل هندسي فريد من نوعه والذي يعرف

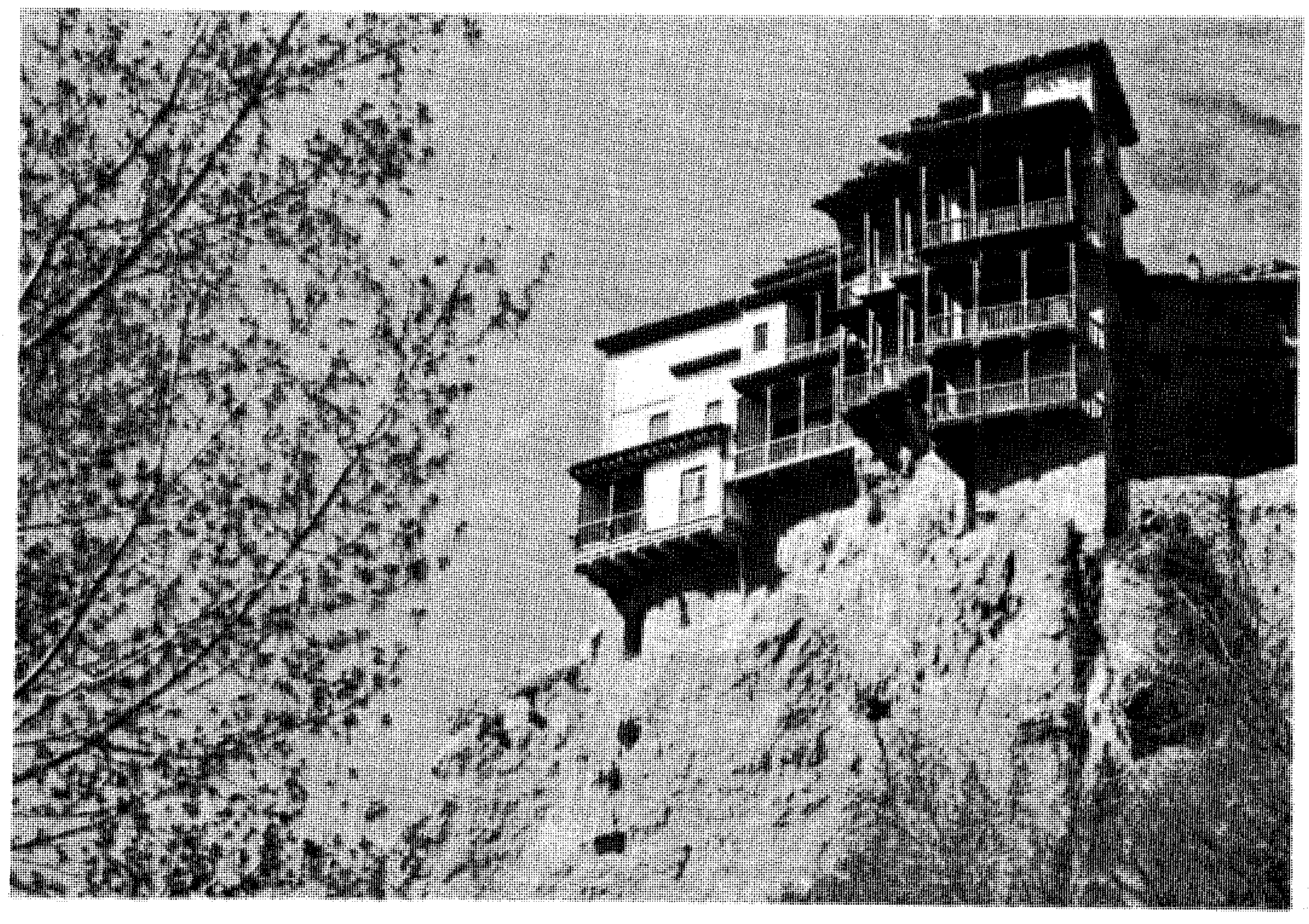
« بالاكوادوكتو » أو « قناة المياه » المحافظ على طابعه المبني منذ قرون والمحاط بالأقوال المبنية من حجر الجرانيت وعدد الأقواس حوالى ١٦٧ قوساً . ولا تزال القناة محتفظة بحالتها الأصلية تقريبا ولا شك أنها تعتبر أثراً هاماً . له قيمته من الناحيتين الفنية والأثرية بين المعالم التاريخية . في جميع بقاع العالم كما توجد بعض القصور ذات الفن الهندسي والمعماري التى يغلب عليها طابع العمارة الإسلامية .

فلا تزال العمارة . ولا يزال البناء في جميع مدن أسبانيا متأثراً بالطابع العربي وهو يدخل فى الأشيـاء ذات العـراقة والأصالة والجوانب المميزة .!

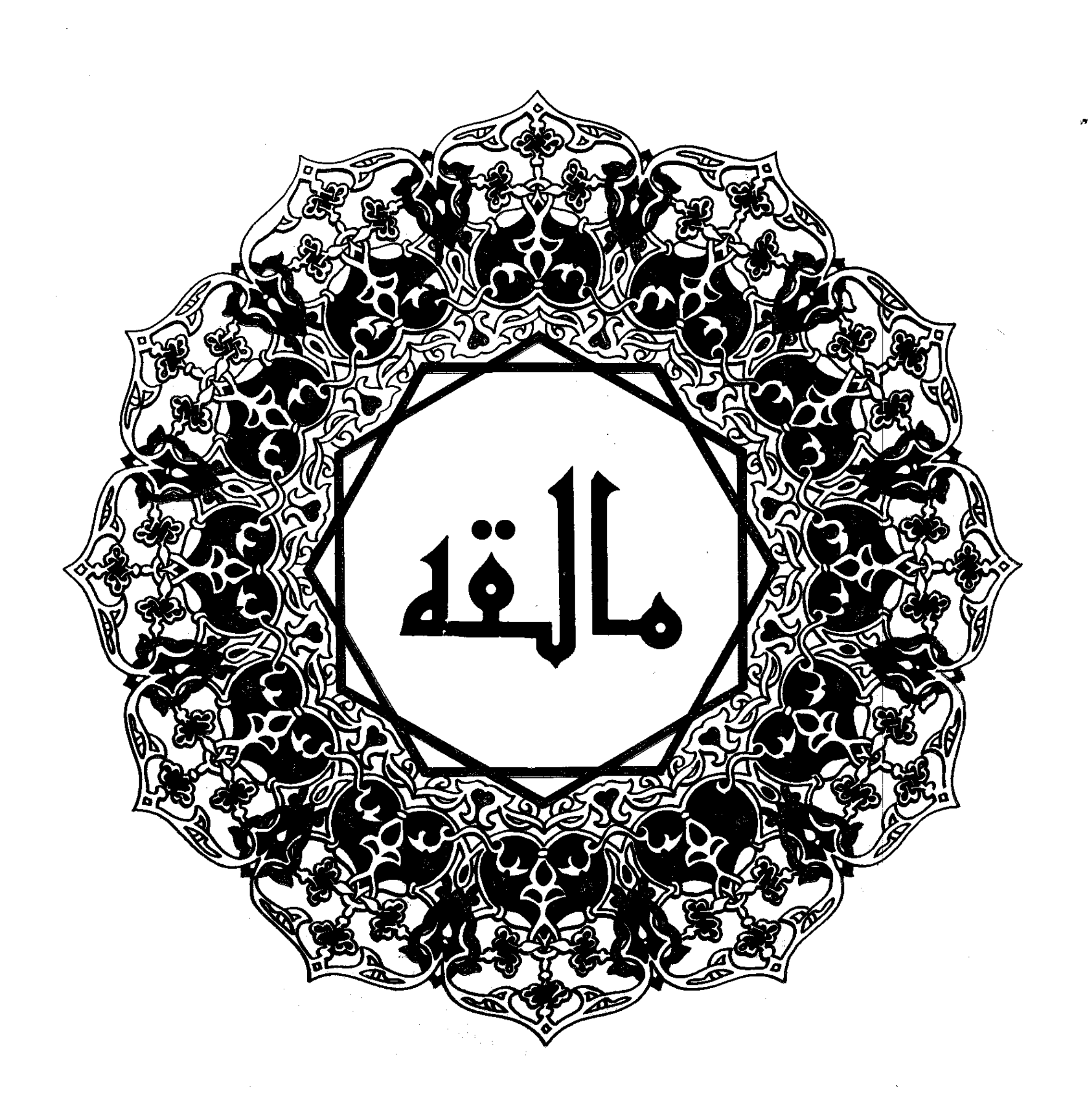
وبالقرب من سيغوبيا توجد حديقة« لاجرانخا دي سان » المقام بها قصر عظيم يطل على حدائق ونوافير جميلة . وبها قصر « ريو٠فرير » يضم متحفاً للصيد وبه منطقة تعيش فيها الغزلان والحيوانات البرية !!

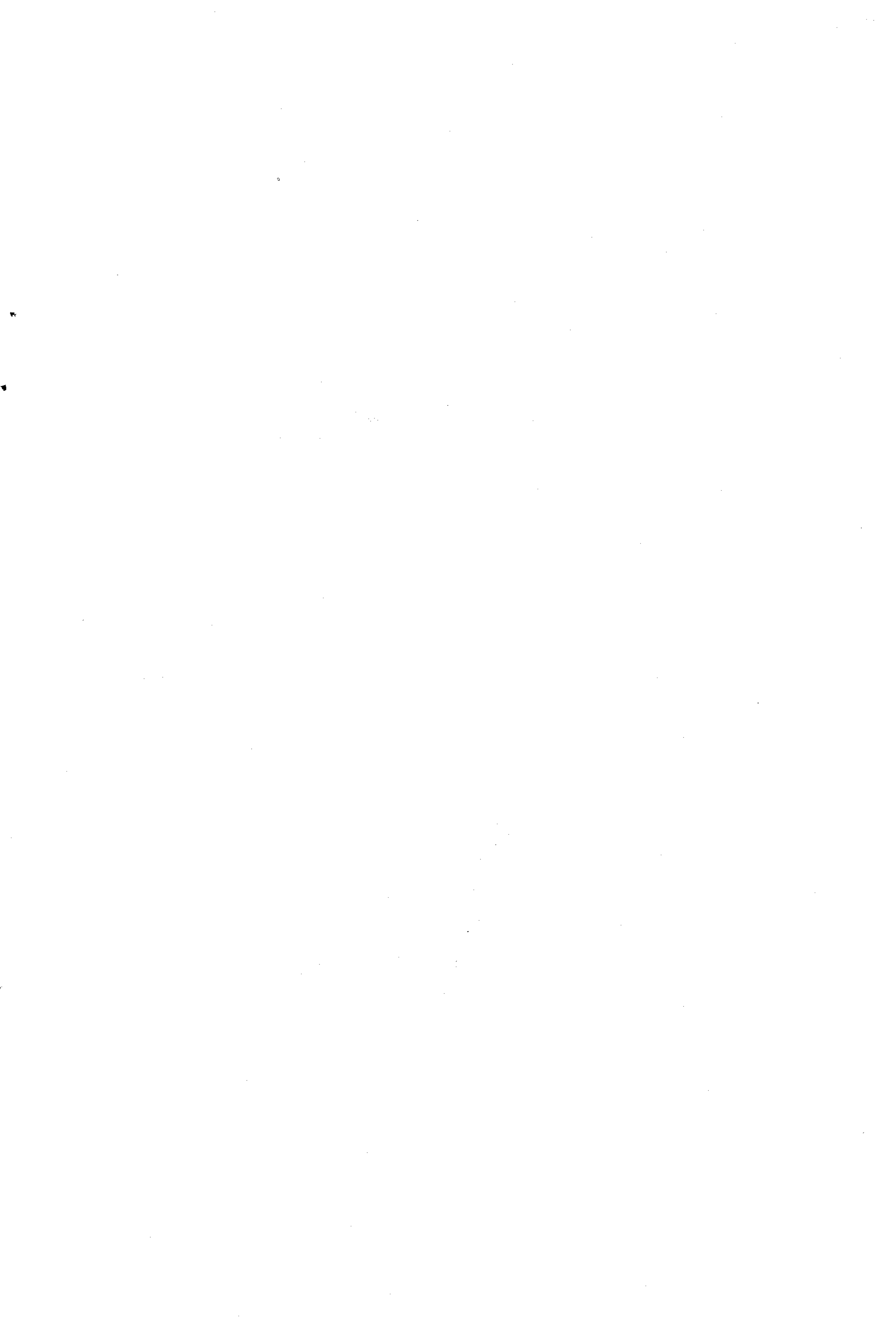
النفق ووسائل السلامة

في العودة من زيارة الآثار والمعالم التاريخية في سيغوبيا والاسكوريال . ووادى الشهداء . في طريقنا إلى العاصمة مدريد . بعد يوم حافل بالتجوال والترحال . والاطلاع والوقوف على المعالم الهامة في حياة **الأسبان** . سلكنا طريقاً آخر غير الذي ذهبنا معه أثناء بدء الجولة وهذا طريق أسهل وأيسر للسالكين له وهو عبارة عن نفق في جبل . يبلغ طول النفق ستة إلى سبعة كيلو مترات تقريباً .. وهو يذكرني بأنفاق مكة المكرمة مع فارق المسافة طبعاً . لكن ما استرعى انتباهى في هذا النفق . هو توفر وسائل السلامة على جانبيه من طفايات حريق مثبتة على جانبي النفق . وعلى مسافات متقاربة إذ لا تبعد الواحدة عن الأخرى أكثر من مائة إلى مائتى متر . وكذلك « خراطيم المياه » والهواتف لامكانية الاتصال . والابلاغ . وهذه إحدى وسائل السلامة الهامة لحماية سالكي الأنفاق .!!



القصر ـــ يتربع على قمة هضبة فى سيغوبيا !!

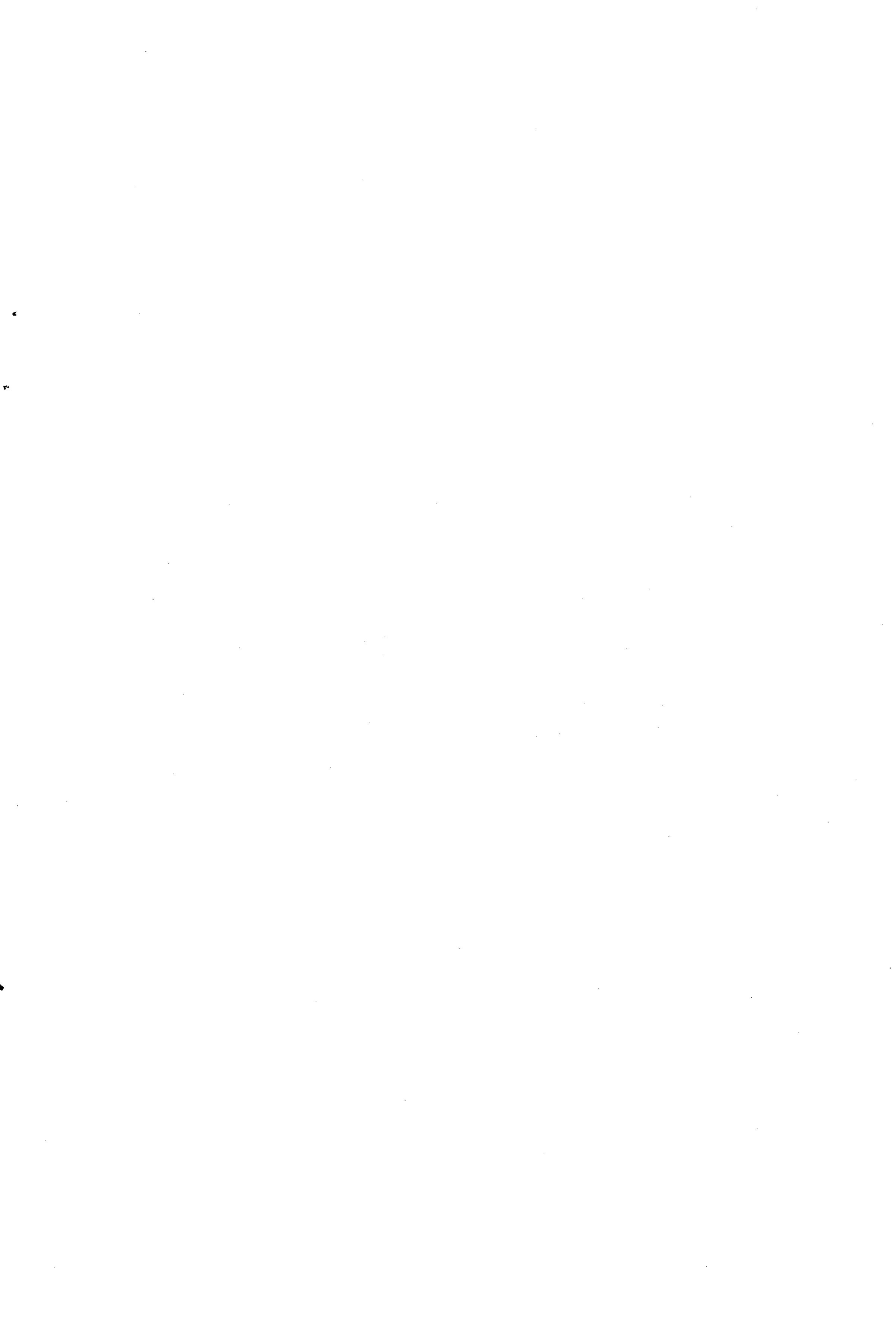

مالقه



تنتصب في ريف خصيب على حافة
البحر الابيض المتوسط

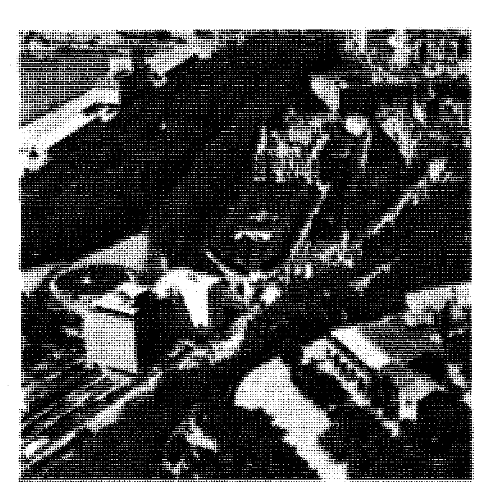
القصر العربي "القصبة"
ومعقل آخر قائد عربي



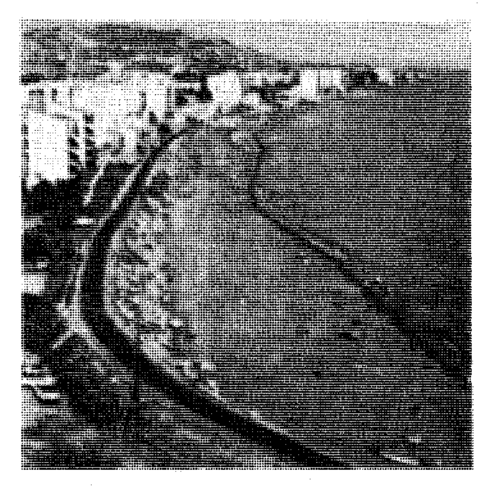


مالقة

الرحلات البرية .. تمنح الانسان فرصة أكبر للمشاهدة والاطلاع عن كثب والتنقيب والوقوف على الطبيعة ، والتمعن لتكوين حصيلة جيدة لاثراء معلوماته واستعادة السابق ونبش صدأ الأيام عن ما أختزنه لامكانية الربط .. والاضافة ..!



منظر من الجو « لمالقه »



مالقة فى أحضان الشاطىء

فالرحلة بالسيارة ممتعة فكرياً وثقافياً رغم ما فيها من « مشقة » !! فمن غرناطة انحدرنا من بين الغابات والمروج الخضر التي كانت في يوم من الأيام مسرحاً للخيول العربية .. ومرتعاً للأبل ..! عبر قرون ثمانية من تاريخنا العربي المجيد .. وكان سائقنا الأسباني « خوسيه » !! الذى رافقنا طوال رحلتنا من « أشبيلية » إلى المحطة الأخيرة « مربيًّا » البلدة التي تحتضنها جبال « سيرا بلانكا » .. وتتكسر عند قدميها أمواج البحر الأبيض المتوسط على شاطىء الشمس الجميل !



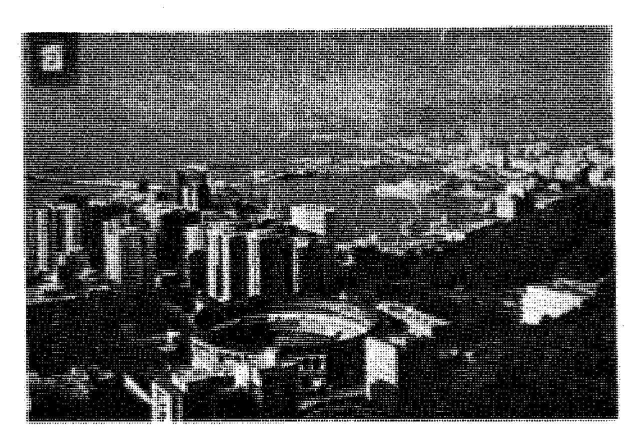
القصر العربى « القصبة » فى مالقة !

كان هذا السائق رقيقاً في معاملته ، عفيفاً فى سلوكه وتصرفاته .. أميناً .. فهو يطبق « تعاليم الإسلام » ترك انطباعاً حسناً في نفوسنا فهو صاحب خبرة طويلة في مرافقة السياح « ٢٥ عاماً خدمة » !

يقول أنه خلال « الـ ٢٥ عاماً » التي قضاها في خدمة السياح من جميع أقطار العالم وجد أن العرب هم أقل السياح اهتماماً بالآثار مع أن الآثار في اسبانيا تحكي تاريخهم وأمجادهم وكان الواجب أن يكونوا هم أحرص الأمم عليها فالعرب يتركز وجودهم في « برشلونة ـــ مدريد ـــ مربيا » أما مناطق الآثار في الجنوب « الأندلس » التي تزخر بالآثار فلا يرتادها سوى نفر قليل وقليل جداً !

مالقه .. المدينة الفاتنة

تبعد مالقه عن مدينة غرناطة « ١٣٠ » كيلو متر تقريباً وهي مقاطعة كبيرة وعاصمة هذا القطاع « ساحل الشمس » تبعد عن مدريد حوالي ٥٧٥ كيلو متر ومالقة تنتصب في ريف خصيب على حافة البحر الأبيض المتوسط .. وقدْ خلفت فيها الحضارات المختلفة آثاراً رسمية فهي



منظر عام لشاطىء الشمس (ملقا)

مدينة جميلة ومرحة ..!

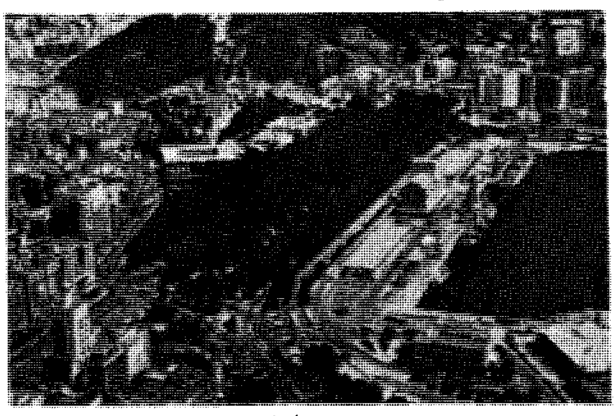
شمس ساطعة ، وشواطيء جميلة وفنون تجذب ملايين الزوار من كل حدب وصوب يأتون إلى هذه المنطقة .. ويقيمون في فنادقها .. ومنازلها الفاخرة الممتدة على طول « ساحل الشمس » فالآثار الفينيقية تمتزج في تناسق جميل رائع .. ومناظر بهيجة .

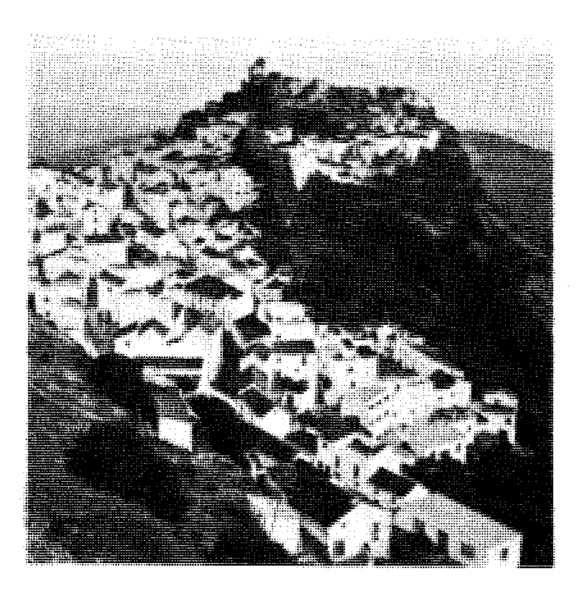
القصر العربي .. القصبة

من الآثار العربية في مالقه القصر العربي الجميل « القصبة » وهو قصر قديم للملوك العرب بداخله قاعات ومتحف أثري .

وهناك قلعة « جبل الفارو » « جبل هارون » التي كانت « معقل

منظر لمرفأ مدينة ملقا





السفوح ــ والتلال ــ والشاطىء

حميد الزغري » آخر قائد عربي في هذه المدينة وفي مدخل حدائق البوابة الظليلة كُتِبَتْ بيتان من الشعر العربي تبعثان الحسرة في النفس .. وتقولان :

إن قلبـــي لـــن ينسي مالقـــة
لن يخمـد بعـد هـوى مستعـر
أيـــن منـــي أبراجهـــا الشاهقـــة
أيـــن الشرفـــات مرايـــا القمـــر؟!

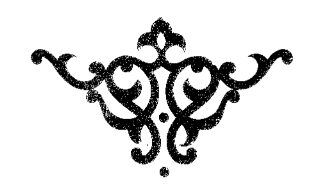
وعلى امتداد الشاطىء تضطجع العديد من الضواحي والبلدان المرتبطة بالمقاطعة« مالقة » ذات المناظر الزاهية والطبيعة الجذابة باستراحاتها ومنتجعاتها الهادئة التى يجد فيها السياح الراحة والمتعة بين الشواطىء والمياه الدافئة كدفء عواطف أهل الشرق ، والرمال الناعمة نعومة الأوربيين وعلى السفوح والتلال الممتدة فهناك مناطق معروفة وذات شهرة كبيرة مثل « توريمولينوس » التي اشتهرت بمؤتمراتها الدولية « وفونيخيرولا » التي تحافظ على بعض الآثار العربية مثل « قصر سهيل » وطابعها الأندلسي « ونيرخا ،

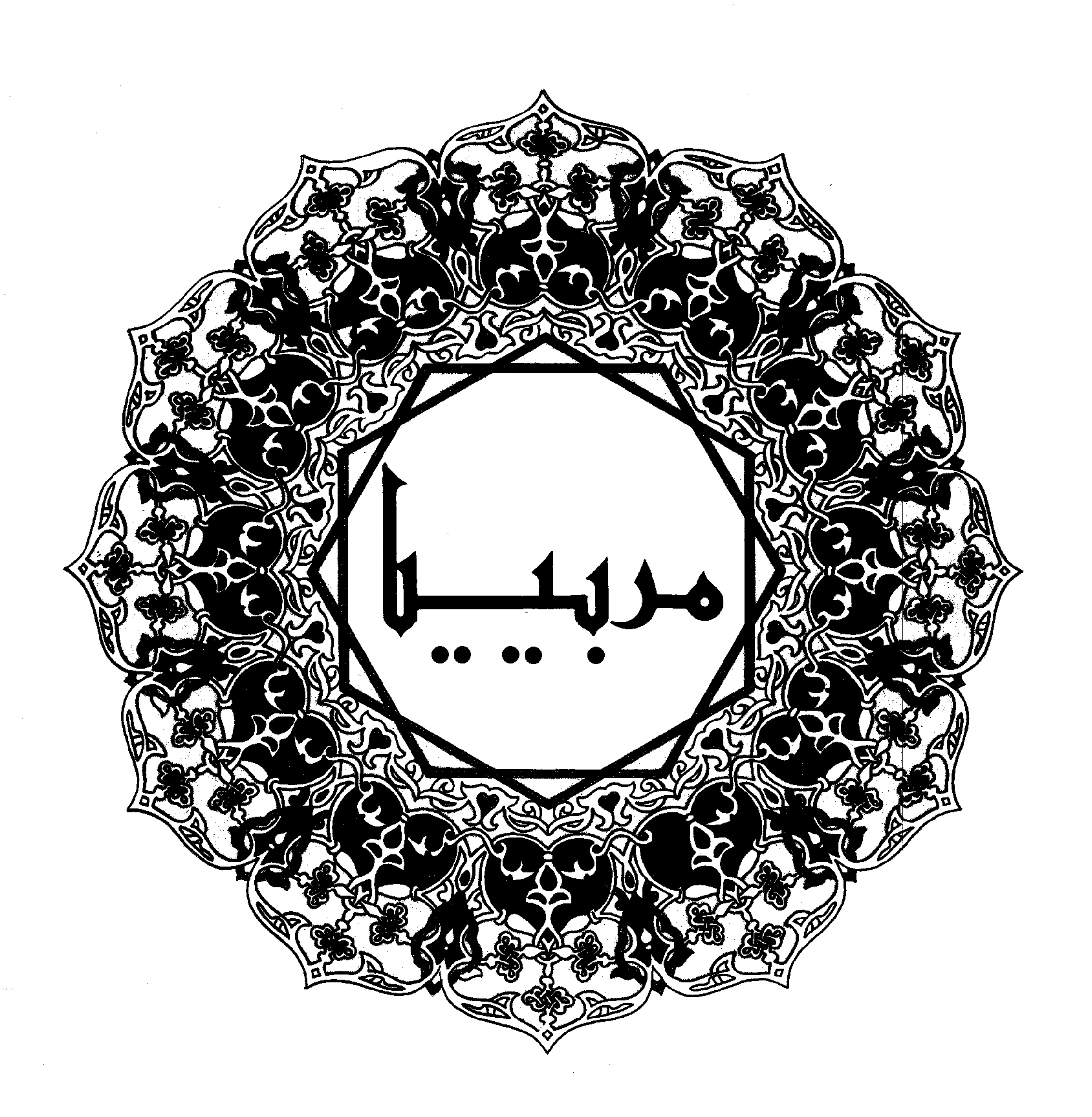
وتوروكس » بالاضافة إلى ما هو مهيأ من وسائل تجلب الراحة والهدوء وصالات رياضية ومسابح .. !

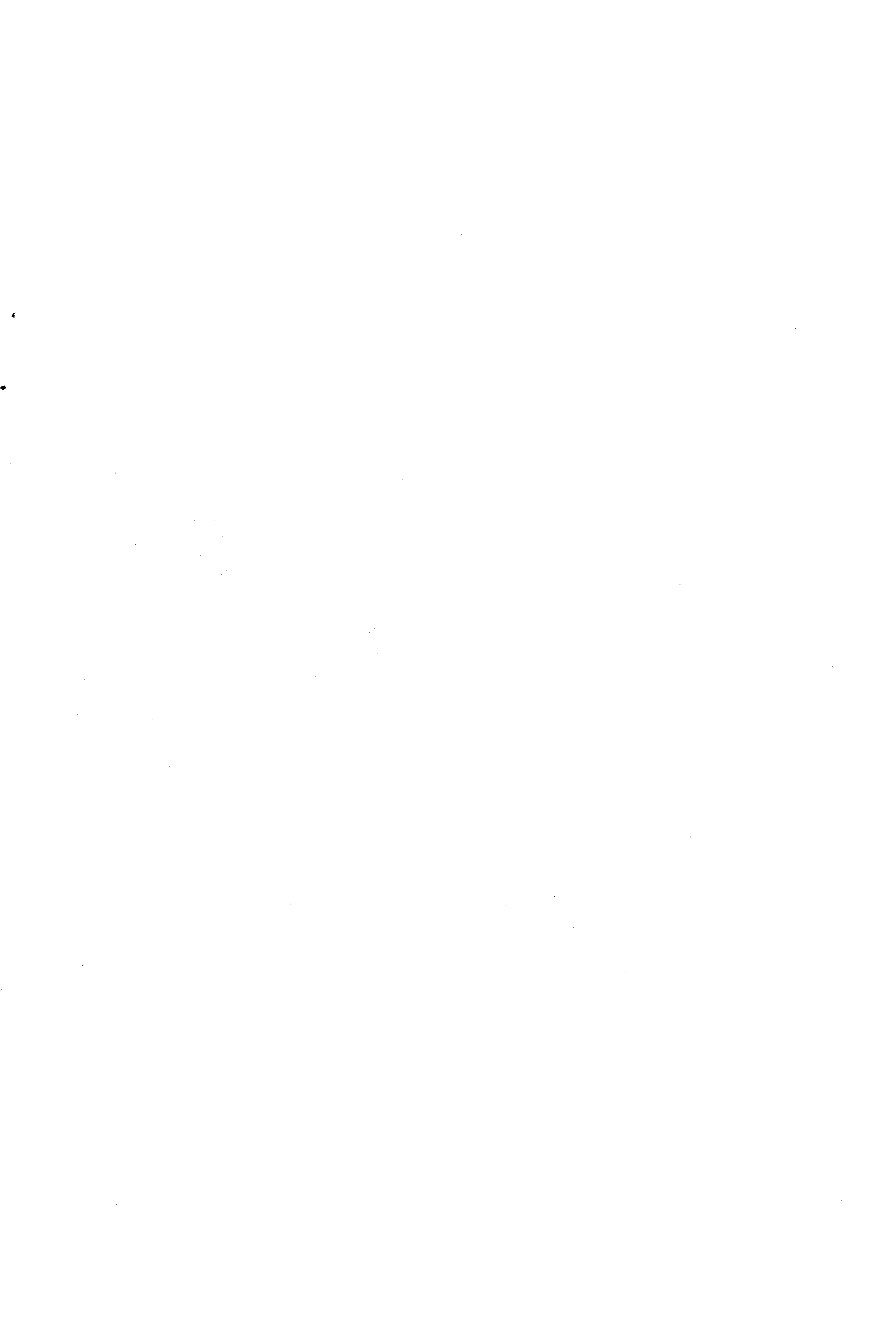
مالقه .. وأهل العلم !

ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ما نصبه . مَالَقة : بفتح اللام والقاف كلمة عجمية مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رَيّة سورها على شاطىء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية قال الحميدي :

« هي على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق والقولان متقاربان وأصل وضعها قديم ثم عمرت بعد وكثر قصد المراكب والتجار إليها فتضاعفت عمارتها حتى صارت أرشُذونة وغيرها من بلدان هذه الكورة كالبادية لها أي الرستاق وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم منهم عزيز بن محمد اللَّخْمي المالقي .. وسليمان المغاقري المالقي ..



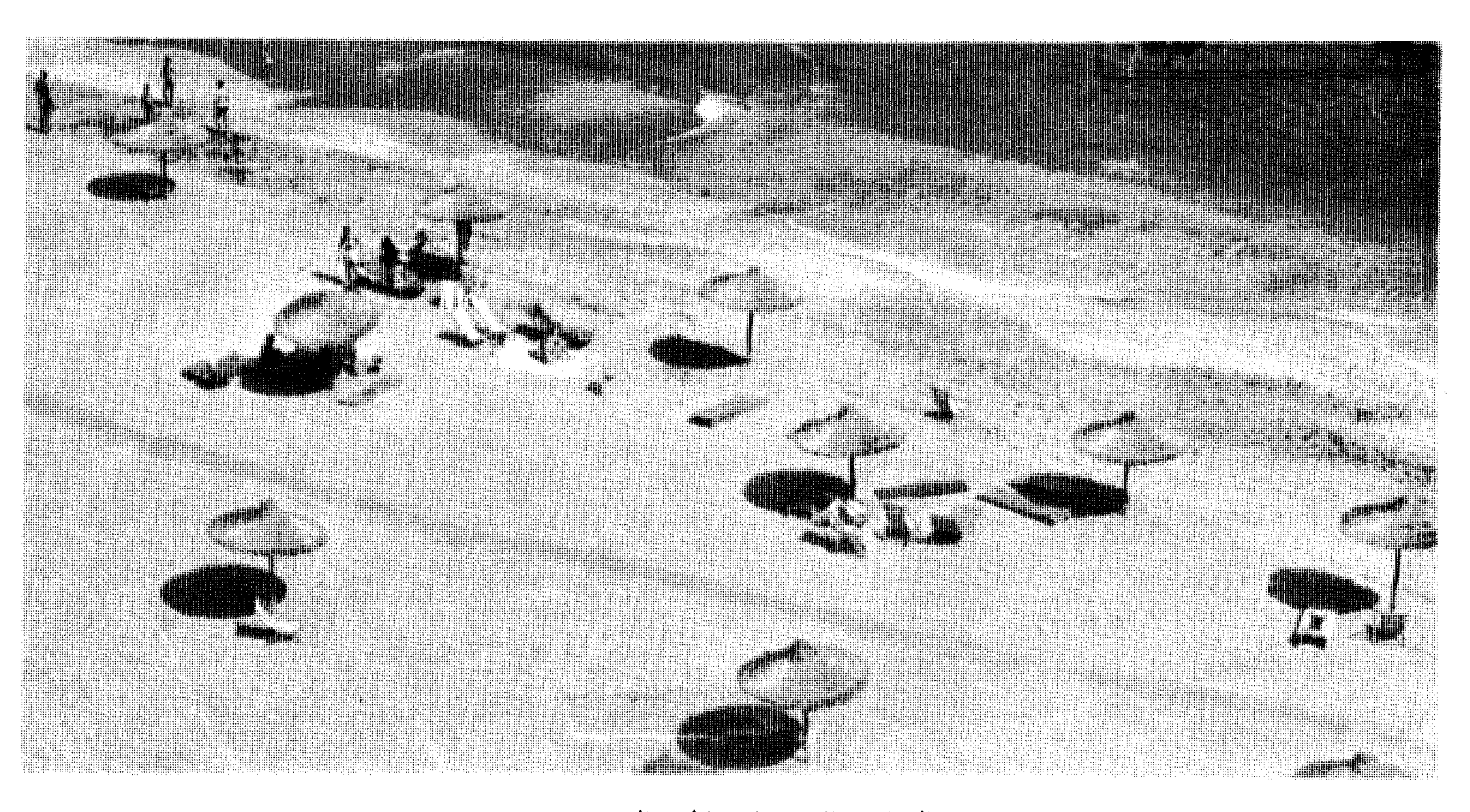

مربييا





سحر السواحل وفتنة السهول
وجمال المرتفعات ؟

شاطئ الشمس مياه دافئة
وسواحل رملية وجبال وادعة ؟



السياح يتناثرون على شاطىء الشمس

مربيـــا

مربيا .. أشهر مدينة سياحية !

تعتبر مربيا أشهر مدينة سياحية في العالم جميلة وأنيقة .. تجمع بين سحر السواحل وفتنة السهول وجمال المرتفعات ذات الشواطىء النظيفة والرمال الناعمة والهواء العليل التي تحتضنها جبال « سيرا بلانكا » ! لقد أصبحت هذه المدينة المكان المناسب لرجال المال والأعمال العرب الذين استثمروا رؤوس أموالهم فيها بعد أن لمسوا الهدوء والراحة العامة ومربيا مرفأ يستقبل "اليخوتات" من جميع أنحاء العالم ولا يشعر فيها الإنسان العربي بجو الغربة فالعنصر العربي يتكاثر من كل الجنسيات الخليجية ودول المغرب .. وتحافظ على كثير من أطلال الأبراج والأسوار والقلاع العربية القديمة .. والمباني المتلاصقة والأزقة الضيقة .. والطابع العربى في البناء في المدينة القديمة !

الشاطىء يغص بالسياح من كل الأجناس يفترشون الرمال الناعمة يستقبلون أشعة الشمس الناعمة تمنحهم الدفء والحنان ..

وفي مربيا وفي موقع استراتيجي يقع مسجد الملك عبد العزيز يرحمه الله تقام فيه الصلوات المفروضة .. ويؤمه المسلمون لأدائها .. ! وقد انشىء على نفقة حكومة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم .

كما تنتشر بعض القصور التي يمتلكها بعض الشخصيات العربية .. على المرتفعات وهي تطل على الشاطىء !

شاطىء الشمس جنة فى البحر :

الشمس في هذه المنطقة ذات التاريخ والحضارات مثالية وفريدة ..

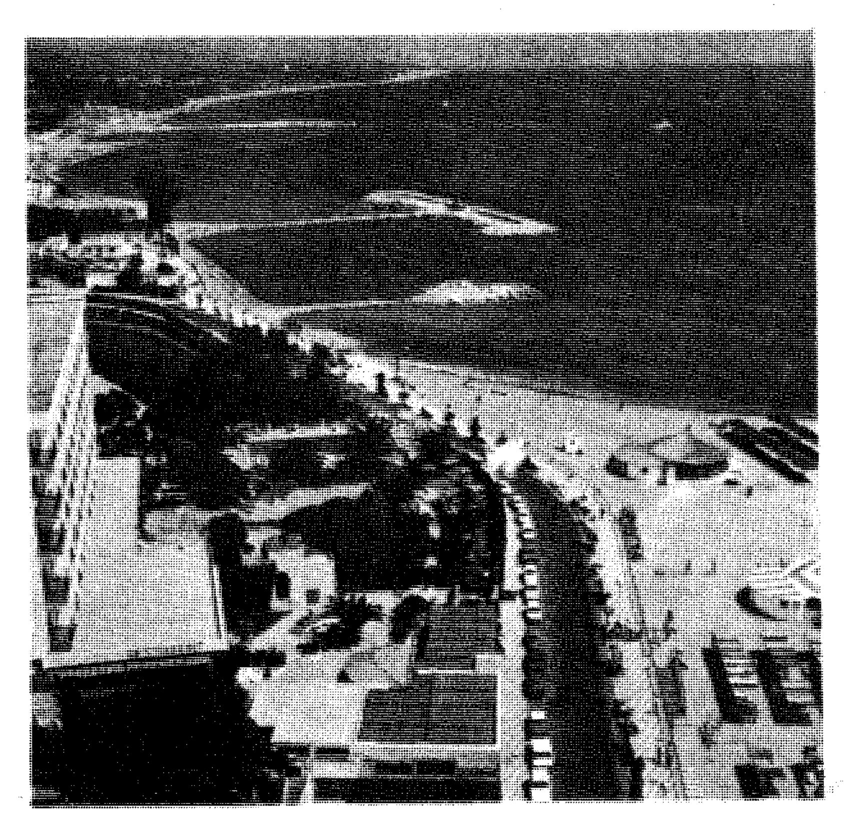
وتحت ضيائها ظلال وارفة وأعشاب متنوعة وهواء نقي وجو غير ملوث وشاطىء ذو مياه زرقاء .. دافئة وسواحل رملية مترامية وجبال وادعة ترسم مفارقات رائعة .. والمناخ معتدل « مناخ البحر الأبيض المتوسط » الأمر الذي يسمح بربيع دائم .

هذا الفردوس السياحي الذى يؤمه آلاف الزائرين لينعموا بهذا التراث الخارق الذي يندر وجود مثيل له في العالم وهو محفوظ هنا ..! حيث تُحترم الطبيعة .. وتعتبر خيراً للجميع !

شاطيء الشمس هذا الذي وطأه في غابر الأيام الفينيقيون واليونان والرومان والعرب الذين تركوا فيه آثارهم الخالدة يمضي زوار من جميع أقطار العالم أجازاتهم .. حيث يجدون الراحة التي توفرها بيئة مريحة سليمة .

يمتد شاطيء الشمس على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط الأندلسي من المرية إلى طريف في المنطقة الجنوبية من أسبانيا وهي منطقة كثيرة التنوع تنطوي على مفارقات بارزة يكمن فيها القسط الأعظم من جمالها !

وشواطئها المنخفضة الرملية في مقاطعتي مالقة وقادش ، تزداد وعورة في غرناطه والمريه بسبب قربها من بحر « السلسلة البينيتية » حيث توجد شارات نيفادا وفيها قمة مولاي حسن ، أعلى قمة في شبه جزيرة ابريا .. حيث يبلغ الارتفاع (٣٤٨٠متراً) وتصل شعب سلسلة جبال « بينيتية » حتى شاطيء الشمس الأمر الذي يمكن هذا الأقليم من تقديم المغايرة الجميلة بين منطقة السهول الساحلية والجبال القريبة من البحر .. والأنهار التي تروي المروج الخصيبة في المنطقة قصيرة ولكن لبعضها مداً كافياً ومناخ الشاطيء معتدل لطيف درجة حرارته ممتطة طوال العام ..



مربيا طبيعة وجمال وأكسبها موقعها الشهرة

والسماء ذات زرقة شديدة تبدو دواماً ، وتكاد تكون صحواً رائقة تزداد في العادة بشمس متالقة .. وأيام المطر قليلة والغابات غزيرة من نوع شبه استوائي ولها أصناف كثيرة التنوع في كل المنطقة .

الرياضة .. والاستجمام

ملاعب الجولف النضيرة المتقنة التي تمتد في جميع المنطقة تكشف مدى الاهتمام بالهواية الكبرى التي يحظى بها شاطيء الشمس هذه الرياضة يمكن ممارستها طيلة العام .. يأتي مئات الهواة المولعين بالجولف ليمارسوا رياضتهم المختارة ويستنشقون هواء المنطقة العليل وللرياضة المائية هنا تتوفر

أفضل الأجواء حيث مياه البحر الأبيض المتوسط .. الهادئة وكذلك ممارسة الملاحة بالمجداف ، أو بالمحرك والتزحلق المائي أو صيد الأسماك .

والفروسية إحدى الرياضات الأخرى التي تمارس في شاطيء الشمس .. حيث توجد عدة مدارس لتعليم ركوب الخيل .. وتقام حفلات ومسابقات !

فمستوى المنطقة السياحي الرفيع شجع على بناء عدد من الموانيء الرياضية ذات المستوى العالي تتقاطر عليها اليخوت الفخمة من كل الجنسيات ومن ميناء الجزيرة الخضراء في مقاطعة قادش إلى جاروتشا في مقاطعة المرية توجد موانيء وفي مربيبا ومالقة وفي مقاطعة غرناطة تقام في بعضها حفلات خاصة في الوقت الذي يكثر فيه السياح بحضور شخصيات عالمية مشهورة !

وفي الأعياد والمناسبات تظهر عادات وتقاليد فلكلورية ومهرجانات للفنون ومعارض وحفلات .. الغناء الشعبي « فلامينكو »!!

ووسائل المواصلات المتوفرة البرية والبحرية والجوية جعلت من هذه المنطقة ملتقى لكبار المنفذين لأوجه الأنشطة المختلفة نظراً لوجود المنشآت والفنادق المجهزة المزودة بكافة الخدمات الضرورية لاقامة المؤتمرات وعقد الاجتماعات والجلسات بتجهيزات حديثة في أجواء مشبعة لمن ينشد الاستجمام والراحة والتسلية بعيداً عن الضجيج والصخب الذي تعيشه المدن العالمية الأخرى .. !

مقاطعة .. قادش

مقاطعة قادش تقع إلى الغرب من مربيا تتبعها عدد من البلدان والقري المتاخمة أو القريبة من جبل طارق مثل" جواديارو لالينيا ديلاسان

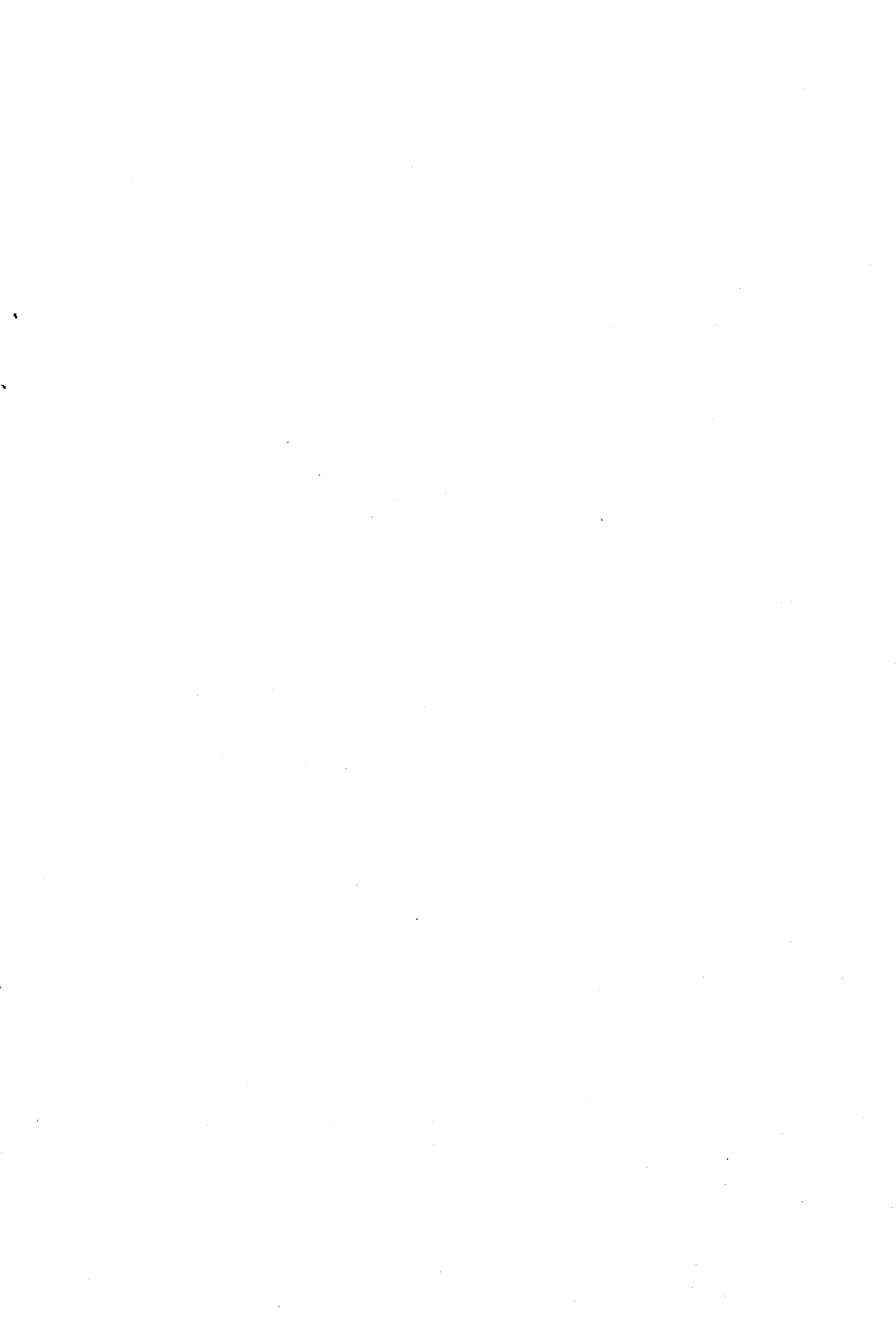
روكي »المدينة التي أسسها المطرودون بعد ضياع جبل طارق من هذه القاعدة لوس باريوس !

والجزيرة الخضراء ميناء هام جنوب أسبانيا به السفن عابرات المحيط مرتبطة بخطوط بحرية مع أوروبا وأفريقيا كما توجد رحلات بحرية يومية .. مع سبتة وطنجة ! وقد ورد في معجم البلدان تعريف عن هذه المقاطعة « قادس » يقول عنها ياقوت الحموي « جزيرة في غربي الأندلس تقارب أعمال شذونة طولها أثنا عشر ميلًا .. قريبة من البر بينها وبين البر الأعظم خليج صغير قد حازها إلى البحر عن البر !

وفي قادس الطلسم المشهور الذي عمل لمنع البربر من دخول جزيرة الأندلس وفي ذلك قصة طويلة يصعب ذكرها .. ويمكن الرجوع إليها في كتب التراث .

وبهذا الاستطلاع نختتم سلسلة الاستطلاعات عن ربوع الأندلس والجولة التى أوقفتنا على صفحات منسية .. وأمجاد طمرتها الأيام وآثار شامخة وبطولات تحكي عظمة العرب فمثل ما استقبلتهم .. شاهرين سيوف الحق لاعلان الدين واعلاء كلمة الله .. ودعتهم بعدما أهملوا تلك الدعوة وانصرفوا عنها باللهو والفتن والدسائس والخلافات ودعتهم مطأطئي الرؤوس تغشاهم الذلة والهوان .. وقد أفل نجمهم .. وانتصر عليهم عدوهم !!

فلم نعد نملك غير أن نردد .. « يازمان الوصل بالأندلس » !!



الموشحات الأندلسية

الموشحات الاندلسية

« الأندلس » .. اسم له في النفوس إيقاع شجي عميق آسر . يحمل في طياته أصداء قرون من التوهج .. ويعيد للخاطر أمجاد مدن لا تنسى : قرطبة .. غرناطة .. أشبيلية .. وذكرى أعلام خلدوا على مرّ الزمان ، وصفحات مفعمة بالشجن .

وكما يقول د . محمد عناني : انتهت الأندلس كأسطورة من الأساطير ، لكن أطيافها لا تزال تهوم بين الحين والحين .. وصدى لحن قديم يسري فتهتز له النفوس .. وأسماء ومعالم لا تزول ما بقي الدهر . !

الموشحات الأندلسية

الموشحات .. نهر جياش .. يتدفق بالشذى والرؤى!! وقد شغلت الموشحات أجيالاً من العلماء في الشرق والغرب ، ولا تزال تغري بالبحث وتتكشف من حين لآخر جوانب وضاءة من هذا الفن كما أقيمت دراسات ، وعني بها المختصون . والمتذوقون والباحثون . وحفظت لنا الكتب ، كتب التراث زخماً ضخماً وألواناً شتى من هذا اللون الشعري: وقد سَعيتُ للاطلاع على العديد من المراجع والكتب التى تعنى بهذا الأدب الرفيع لالقاء الضوء وتقديم باقة عطرة أجمع لها صوراً ونماذج « حية » .. مع إطلالة على بدايات هذا الفن ومراحل تطوره .. ورسوخه في أذهان العديد من المتذوقين كفن غني بالجمال والابداع زاخر بالصور البيانية والتصوير البلاغي مع جرس موسيقي راقص .

ظهور الموشحات :

تقول المصادر : اشتقت كلمة الموشح على أرجح الظن من المعنى العام للتزيين سواء كان ذلك وشاحاً أم قلادة مرصعة . واستعملت الكلمة في أحايين للتعبير عن بعض المعاني البلاغية .

لكن الذي يعنينا هنا منها دلالتها على قالب من قوالب الشعر العربي ، عُرف على مدى الأيام بإسم الموشحات .. أو التوشيح .. أو الموشح .

وعُرف الناظم فيه بإسم الوشَّاح . وقد عرف عن شعراء الأندلس أنهم كانوا يقرضون الشعر وينظمون الموشحات .

وفي كتاب الذخيرة أن « أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا واخترع طريقتها فيما بلغني « محمد بن محمود القبري الضرير » وكان يصنعها على أشطار الأشعار .. غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة .. ويسميه المركز ، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان »!!

وفي مقدمة ابن خلدون :

« وأما أهل الأندلس لمَّا كثر الشعر في قطرهم .. تهذبت، مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه « بالموشح » وكان المخترع « له » مقدم بن معافر العزيري ، وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله بن عبد ربه ، صاحب كتاب العقد .

ويتناول ابن شاكر الكتبي ، مؤلف فوات الوفيات ، الموضوع بدوره فيقول :

« وقيل إن ابن عبد ربه صاحب العقد أول من سبق إلى هذا النوع

من الموشحات » !

والآراء حول نشأة الموشحات الأندلسية أكثر من أن تحصى لكن ليس معنى هذا أن الموشحات ظاهرة مستقلة لا علاقة لها بالشعر العربي . فمؤلفو الموشحات هم أولاً وأخيراً شعراء عرب . وهذه حقيقة لم ينكرها أحد ، حتى المستشرقون المنادون بأن في الموشحات عناصر أسبانية محلية !!

تركيب الموشحة

ونحن نتحدث عن الموشحات سنمر بعدد من المصطلحات وليكن هذا النص موشحة للأعمى التطيلي :

ضاحِكٌ عن جمان سافِرٌ عن بدر
ضاق عنه الزمان وحواه صدري
آه ممّا أجِدْ شفّنِي ما أجِدُ
قام بي وقعدْ باطشٌ مُتّئِدُ

وهذا المطلع الأول هو القفل الأول من أقفال الموشحة .

وقد عرف ابن سناء الملك الأقفال بأنها « أجزاء مؤلفة ، يلزم أن يكون كل قفل منها متفقاً مع بقيتها في وزنها وقوافيه ، وعدد أجزائها » !

والقفل يتردد في الموشح ست مرات في التام وخمس مرات في الأقرع . وأقل ما يتركب القفل من جزءين فصاعدا إلى ثمانية أجزاء .

وموشحة ابن زهر .. التي يذكر أنها نُسِبَت خطأ لابن المعتز :

أيها الساقي إليك المُشْتَكى
قد دعوناك وان لم تسمع

والخرجة فيها ، مع البيت الذي يأتي قبلها :

كَبدٌ حرَّى ودمعٌ يكفُ
يعرف الذنب ولا يعترفُ
أيها المعرض عمّا أصفُ

قد نما حُبك عندى وزكا
لا تقل في الحب إني مُدَّعِي

أوزان الموشحات

قسم ابن سناء في كتابه « دار الطراز » الموشحات إلى قسمين :

١ ـــ ما بني على أشعار العرب .

٢ ـــ مالاعلاقة له بهذه الأوزان .

وأوضح أن « ما بُنِيَ على أشعار العرب من الموشحات ينقسم بدوره إلى قسمين :

الأول : وليس فيه من حيث الوزن أي اختلاف عن الشعر العادي مثل موشحة :

يا شقيق الروح من جسدي
أهوىً بي منك أم لَمَمُ

وهذا القسم على أوزان الخليل بن أحمد..!!

أما القسم الثاني : فهو ما تَخلَّلت أقفاله وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة ، كسرة كانت أم ضمة أم فتحة ـــ تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً وقريضاً محضاً . وضرب ابن سناء مثلًا لذلك قول ابن بقي :

صبرت والصبر شيمة العاني
ولم أقل للمطيل هجراني
« مُعذَّبي كفاني »

فلولا الزيادة التي تتمثل في كلمتي « معذبي كفاني » لكنّا أمام نص من بحر المنسرح .

وقد يحدث التغيير عن طريق إدخال قافية أخرى مثل :

يا ويح صبٍّ إلى البرقِ .. له نظرْ
وفي البكاء مع الوُرْقِ .. له وطرْ

فهذه الفقرة يمكن أن تعطينا بيتاً عادياً كما في الشعر .

التقليدي لو أنها جُعِلت :

يا ويح صبٍّ إلى البرق له نظر
وفي البكـاء مع الـوُرْقِ له وَطَـر

وننتقل إلى الموشحات التي لم تجيء على أوزان أشعار العرب :

أنت اقتراحي ... لا قرّب الله اللّواحي
من شاء أن يقول فإنِّي لستُ أسمعْ
خضعتُ في هواك وما كنت لا أخضعْ
حبي على رضاك شفيع لي مُشَفعْ
نشوان صاحبي ... بين ارتياع وارتياح

ويقول الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه « موسيقى الشعر » : وليست الموشحات قبل تلحينها إلّا نوع من الشعر المسمط ففيها تتكرر القوافي والأقفال ، حتى نهاية الموشح .

أغراض الموشحات

تقول المصادر والدراسات :

ان أقدم الموشحات المعروفة لنا تعود إلى القرن الخامس الهجري ومن

ثم فإن الآراء التي يمكن أن تقال عن أغراض الموشحات في فترة النشأة ، لا تعدو أن تكون ترجيحية .. وان هناك شبه اتفاق على أن الموشحات ارتبطت منذ أطوارها الأولى بالموسيقى والغناء . ومن الطبيعي أن تكون الموضوعات الذائعة ذات صلة بالوصف والحنين والغزل والخمريات ويبدأ الشعراء في طور لاحق في معالجة الفنون الأخرى التقليدية من مديح وهجاء ورثاء وشعر ديني ..!!

نماذج من الموشحات

يغلب الجانب العاطفي على الموشحات وهو يعكس لنا صدق العاطفة ، وعمق المشاعر عن طريق اصطناع الألفاظ الرقيقة والصور الشعرية الآسرة والموسيقى المتدفقة ..

وتتناول الموشحات الغزلية موضوع الحب من زوايا مختلفة .. نختار مقاطع من موشحة أبي بكر بن زهر :

حي الوجوه المِلاحا .. وحيِّ نُجلَ العيون
هل في الهوى من جُناحِ
أو في نديم وراحِ
رام النصيحُ صلاحي
وكيف أرجو صلاحاً .. بين الهوى والمجونِ
أبكى العيون البواكي
تذكار أختِ السِّماكِ
حتى حمامُ الأراكِ
بكى شجونِي وناحا .. على فروع الغصون

والوصف بصورة عامة يشكل عنصراً هاماً من عناصر الموشحة وهو

يأتي عادة ممتزجاً بالغزل مثل موشحة أبي عبد الله البطليموسي المعروف بالكميت :

لاح للروض على غُرِّ البطاحْ .. زَاهِرٌ زاهِرْ
وثنا جِيداً مُنَعَّمَ الأَقَاحْ .. نوْرُه الناضرُ
وزارني منه على وجه الصباح .. أرجُ عاطرُ

ولعل ضيق الحيِّز هو الذي لم نتمكن بسببه من الأطناب في هذا الموضوع الذي يغري بالمتابعة ويشد النفس بعذوبته ورقته .. لنختتم جولتنا بموشحة لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ فمع واحدة من أجمل وأشهر الموشحات :

جادك الغيثُ إذا الغيثُ همى
يا زمانَ الوصلِ بالأندلسِ
لم يكن وصلُك إلّا حُلماً
في الكرى أو خلسة المختلسِ
في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى
بالدُّجى لولا شموسُ الغررِ
مال نجم الكأس فيها وهوى
مستقيم السير سعدَ الأثرِ
يا أهيلَ الحي من وادي الغضا
وبقلبي سكنٌ أنتم به
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا
لا أبالي شرقَه من غربِهِ
ساحر المقلة معسول اللَّمى
جال في النفس مجال النفسِ

سـدد السهـم وسَمَّـى ورمـى
ففـؤادي نهبـةُ المفتـرسِ
إن يكـن جـارَ وخـابَ الأمـل
وفـؤاد الصَّب بالشـوقِ يذوبْ
فهـو للنـفسِ حبيـبُ أوُل
ليس في الحب لمحبوب ذنـوب



أضحى التنائي

أضحى التنائي .. النغم الجميل :

في التاريخ الأدبي الأندلسي .. برز العديد من الشعراء والشاعرات . وحفظت لنا كتب الأدب . ثروة طائلة من الشعر والأدب . والقصص التي تروى ، من ذلك قصة الوزير الشاعر ابن زيدون وعلاقته بالأميرة الحسناء الشاعرة .. ولادة بنت المستكفي . والتي كان يغشى منزلها الشعراء والأدباء . حيث اتخذوه منتدى لهم يديرون بين جنباته أحاديث في شتى الفروع العلمية والأدبية لأنها وجدت في هذا الجو متنفسا ينسيها الفواجع والارزاء . حيث كان والدها . حاكم قرطبة لم يدم في الحكم سوى تسعة عشر شهرا .

فالدور الذى قامت به ولادة في الأدب الأندلسي قامت به في الأدب الفرنسي (مدام دي ديفاند) وأحبها نبغاء الفكر حينذاك أمثال فولتير ومنتسكيو .. وكذلك (مدام وازيل دي لسبيناس) والأنسة مي زيادة فشاعرية ولادة تفيض بالعاطفة والشفافية . وعلاقتها بابن زيدون الذي احبها وهام فيها مشهورة تقول ولادة وهي تعلمه بوقت الزيارة شريطة أن تكون تحت جنح الظلام . لأن الليل أكتم للسر وأصون للمحبين .

ترقب اذا جن الظـلام زيـارتي

فإني رأيت ظـلام الليـل أكتم للسـر

وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح
وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ورغم التحرر في أشعارها إلا أن البعض يرى أنه من قبيل التغزل والتخيل شأنها شأن الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون .. ويستدل على عفتها من قول ابن زيدون :

وغـــرك مـــن عهـــد ولادة
ســـراب تـــراءى وبـــرق ومض
هـــى المـــاء تأبى على قـــابض
ويمنـــع زبدتـــــه مـــن مخض

ولقد شاب العلاقة بين ابن زيدون وولادة شيء من التوتر لتدخل الوشاة والحساد والذين سعوا لهدم السعادة . فتاريخ الحب حافل بالسعايات والدسائس التي يحوكها في الظلام الكاشحون . والحاقدون . فالشاعر العاشق ابن زيدون يستعطف محبوبته ويذكرها بأيامه الماضية . في نونيته المشهورة بعذوبتها ورقتها كنغم موسيقى جميل :

أضحى التنـائي بديلا من تدانينـا
ونـاب عـن طيب لقيانـا تجافينـا
غيظ العـدا من تساقينا الهـوى فدعوا
بأن نغص فقـال الدهـر آمينـا
فانحل ما كان معقـودا بأنفسنـــا
وأنـبت مـا كان موصولا بأيدينـا
بنتم وبنـا فمـا ابتـلت جوانحنـا
شوقـا أليـكم ولا جفـت مآقينـا

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا

أن طالما غير النأي المحبينا

والله ما طلبت أهواؤنا بدلا

منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا

دومي على العهد ما دمنا محافظة

فالحر من دان إنصافا كما دينا

فما استعضنا خليلا منك يحبسنا

ولا استفدنا حبيبا عنك يثنينا



موشحة الحفيد

الجميلات الحسان .. من السلالات المهجنة التى امتزجت « عربية وأسبانية » ! فجمال الخدود مع حسن القدود تزينها العيون النّجل . والجدائل الشقر .. وهن يملن طربا . ويمسن عجبا . وزهواً . على أنغام موشحة ابن زهر « الحفيد » ! يجعلن للشعر معنى ورونقاً في إثراء خيال الشعراء !!

عَشيت عينـاى من طول البُكـا
وبكـى بعضي على بعض معـي

غصنُ بان مال من حيث استوى
بات من يهواه في فرط الجَوىَ
خفـق الأحشاء موهـون القُـوى

كلمـا فكّـر في البين بـكـى
ويحـه يبكـي لِمَـا لمْ يَقـعِ

ليس لي صبـر ولا لـي جَلَدُ
يـا لقومي عـذلـوا واجتهـدوا
أنـكروا شكـواي ممـا أجِـدُ

مثل حـالي حقُّهـا أن تشتكـى
كمـد اليـأس وذل الطَمـعِ

كبدى حرَّى ودمعـــي يكـــفُ
تعـــرف الـــذنب ولا تعتـــرف
أيهـــا المعـــرضُ عمـــا أصفُ

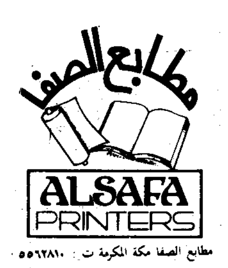
قـــد نمـــا حبـــي بقلبـي وزكـــا
لا تقلْ في الحُبِّ أني مُدَّعـــي



المصادر والمراجع

* التاريخ الاندلسي د . عبد الرحمن على الحجي
* نهاية الأندلس محمد عبد الله عنان
* الموشحات الأندلسية د . محمد زكريا عناني
* الموسوعة العربية الميسرة طبعة ١٩٧٢ م «دار الشعب»
* معجم البلدان ياقوت الحموى
* دولة المرابطين سلامة محمد الهرفي
* الشعر النسوي في الأندلس محمد المنتصر الريسوني
* وفيات الأعيان .. لابن خلكان
* ديوان أحمد شوقي
* ديوان أحمد رامي
* ديوان ابن زيدون
*الأعمال الشعرية نزار قباني
* كتيبات إرشادية
* دليلك العربي « ابن فرناس »
* أين تذهب في أسبانيا

فهرس الموضوعات


مطابع الصفا
ALSAFA
PRINTERS
مطابع الصفا مكة المكرمة ت: ٥٥٦٢٨١٠